الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان
كلية الآداب و اللغات
قسم: اللغة و الأدب العربي
تخصص: حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر

الصورة الشعرية في قصيدة حديث المقبرة
لأبي القاسم الشابي

من إعداد الطالبتين:

عيهار زهرة

سعيدي خيرة

الأستاذ المشرف:

أ.د. فارسي عبد الرحمن

السنة الجامعية: 1434-1435هـ/ 2013-2014م

مقدمـــــــة:

بسم الله الرحمان الرحيم وبه نستعين و الصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى من ولاه من الصحابة و الصالحين إلى يوم الدين أما بعد:

من خلال الحركات الشعرية التي يطلق عليها اسم الرومانطيقية التي بدورها ثارت على المبادئ الكلاسيكية أعلى الرومانطقيون شان الخيال وأحلوه محل العقل فتخلى الشاعر العربي الحديث عن الموضوعات التقليدية من مدح وهجاء ورثاء.... متجها بذلك إلى ذاته للتعبير عن عواطفه الشخصية متأثرا بالطبيعة ولعل من أبرز الخاصيات الفنية التي يتميز بها شعر الحداثة هي طريقة استعماله للصورة الشعرية بنضج ووعي عميقين فهي إحدى الوسائل الفنية التي يحاول بها الشعراء الحداثيون وفي مقدمتهم "أبو القاسم الشابي" الابتعاد عن النزعة التقريرية و الأداء المباشر للأفكار.

وقد تفاوت هؤلاء الشعراء في مقدار نجاحهم في هذه المهمة، بحيث لا تخلوا قصائد الشابي من الصور الشعرية و قد تجسد هذا بشكل كبير في قصيدته "حديث المقبرة " والتي نحن بصدد دراستها.

ولقد كثر الحديث عن هذا الشاعر التونسي و تجادل الناس حول منزلته و مخلفاته، وما أحدثه من تأثير في الثقافة العربية، وهدا ما جعلنا نعجب بتلك العبقرية الناضجة لشاب لم يتجاوز الخامسة و العشرين من عمره.

إن الشاعر الحداثي يستخرج أدق دقائق الصورة الفنية ويركب أبسط جزئياتها في مزيج فني، وعليه: فما مفهوم الصورة الشعرية؟ وماهي مصادرها وأنواعها في شعر الشابي؟ وكيف تجسدت في قصيدته "حديث المقبرة"؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات رسمنا خطة بحثنا كالأتي: مقدمة ومدخل وفصلين كل فصل ينطوي على مجموعة من المباحث، فالفصل الأول معنون بالصورة الشعرية، مصادرها وأنواعها

وقد تضمن ثلاثة مباحث، مصادر الصورة عند الشابي(المفردة و المركبة) و الصورة الشعرية والخيال (فلسفة الخيال عند كوليريدج و معطيات الخيال عند الشابي).

أما الفصل الثاني فكان دراسة تطبيقية لقصيدة "حديث المقبرة " تضمن أيضا ثلاثة مباحث:

أولا: دراسة العنوان.

ثانيا: مرجعية الصورة الشعرية في قصيدة "حديث المقبرة".

ثالثا: مستويات بناء الصورة الشعرية في هذه القصيدة، وأضفنا ملحقا تضمن نص القصيدة وختمناه بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصلإايها.

وارتأينا أن نقدم بحثنا هذا في منهج تحليلي وصفي معتمدين على مجموعة من المصادر والمراجع وأهمها: "ديوان أغاني الحياة " لأبي القاسم الشابي، "الصورة الأدبية" لناصف مصطفى، "الشابي ومدرسة أبولو" لعبد المنعم محمد خفاجي، " الرومانتيكية " لمحمد عنيمي هلال.

ولقد واجهتنا عدة صعوبات عرقلت مسارنا البحثي منها الصعوبة في الحصول على بعض المصادر و المراجع وضيق الوقت نوعا ما.

المدخل

-الصورة الشعرية .

- **لغة**
- **اصطلاح**

-قصيدة حديث المقبرة.

-أبو قاسم الشابي.

- **مفهوم الصورة:**

أ–لغـــــة: جاء في لسان العرب لابن منظور في معنى الصورة ما يلي:

"قال ابن الأثير: الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيبته، وعلى معنى صفته يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته.

وفي حديث:" أتاني الليلة ربي في أحسن صورة"[1] فيكون المراد بما جاء في الحديث أنه أتاه في أحسن صفة.

وقد وردت لفظة الصورة في القرآن الكريم، حيث نجد قوله تعالى خلق السماوات ولأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير."[2]**ويقول سبحانه وتعالى أيضا:**" الذي خلقك فسواك فعدلك (7)في أي صورة ما شاء ركبك (8)."[3]

ب– اصطلاحا:لقد حظيت الصورة الشعرية باهتمام بالغ من قبل نقاد لأدب ودارسيه ولعل السر في هذا الاهتمام يرجع إلى كونها تشكل خاصية جوهرية من الخصائص التي ينهض عليها الشعر.

وما نلتمسه في شعرنا الحديث أن:"الصورة كشف نفسي، شيء جديد بمساعدة شيءآخر وأن المهم هوهذا الكشف لا المزيدعن معرفة المعروف.[4]

[1]- ابنا منظور، لسان العرب، مادة (ص.و.ر) – دار صادر بيروت، ط1: 1410ه -1990م، ص 473
[2]- سورة التغبن،/ الآية:3
[3]- سورة الانفطار، الآيتان:7-8.
[4]- اسماعيل عز الدين، التفسير النفسي للأدب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة- ط4 دت ص88

إذن فالصورة تعني إلا فساح عن الحالات النفسية للشاعر دون الاهتمام بزيادة أشياء جديدة خارجة عن المألوف ، فهي على هذا الأساس مجموعة علاقات لغوية يعتمدها الشاعر ليعبر عن انفعالاته ومشاعره الذاتية، فيحاول أن يحدث علاقات غير مألوفة بين الألفاظ، ومقارنات غير معهودة، ومن خلال هذه الارتباطات والمقارنات يخلق الشاعر تشبيهاته واستعاراته، وكناياته، وتشخيصاته وكل ألوان الصورة الفنية" فترتبط الصورة بأداةالشاعر ارتباطا وثيقا، كما يرتبط فكره بعاطفة ، فكلاهما لا ينفصل عن الآخر بل يتفاعل معه، ويكاد يتودد، فاللفظ يعانق الفكرة، والعاطفة تلتقي مع الخيال وكل منهما يسير في اتجاه الآخر، وعلى هذا يأتي ترتيب الصورة الشعرية من اللغة بدلالتها المعنوية والموسيقية، ومن الخيال الذي يجمع بين عناصر التشبيه والاستعارة والكناية وصور البديع"[1]

فالصورة مولود الخيال ووسيلة الشاعر في محاولته إخراج ما بقلبه وعقله وايصاله إلى غيره، ذلك لأن ما بداخله من مشاعر وأفكار يتحول بالصورة إلى أشكال وصفت بأنها أشكال روحية فبالصورة تتحقق خاصية الشعر.

والصورة بالمفهوم الفني لها تعني "أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن"[2]

_قصيدة حديث المقبرة:

تجسدت الصورة الشعرية بشكل كبير عند الكثير من الشعراء المحدثين، ويعد أبو القاسم الشابي من أبرزهم حيث تجلت كبير الصورة الشعرية في الكثير من قصائده ومنها قصيدة "

[1]- عبد الله التطاوي، الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد، ج1،دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، دط.ص62.
[2]- عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في الشعر مسلم بن الوليد،ج1، دار الثقافة للنشر والتوسيع القاهرة، دط.ص62

حديث المقبرة" والتي نحن بصدد دراستها حيث إن أول مالفت انتباهنا قبل المباشرة في دراسة هذه القصيدة، عنوانها.

كتبت هذه القصيدة في" 03 أفريل من السنة 1932 الموافق ل 269 ذو القعدة 1350، حيث كان الشابي متسائلا في جدوى الحياة والموت عبر حوار بنية وبين روح فيلسوف، هائم النظرات في المرامي البعيدة للوجود"[1] فالقبور حملت الشاعر على التساؤل: هل يفنى الجمال في الكائن، وتطوى سماوات الوجود، وينهد سحر الطبيعة نجوما وشمسا وبحرا وريحا وطيرا وزهرا، فيسطو عليه ليل الفناء؟ فلم يخلد الناس ولا يفجعون بالحبيب ولا يمرون بدروب الموت؟

وتنبري أفكار الشاعر وهواجسه روح فيلسوف في المقبرة، تقول له: لو دمت حيا لسئمت الخلود، ولغامت عنك فتية الكائنات ولما افتكرت بالغد المقلق، ويعترض الشاعر: فما الجدوى من استمرار الحياة مادامت تؤول بالكائن إلى الفناء؟ ولم المرور بوادي الزمان، ولم نحمل عبء الذكريات، نصطدم وجوها وأشكالا وفنات؟ ولماالإخاء والعداء بين الناس؟ فتقول روح الفيلسوف:" إن غاية الحياة بلوغ الكمال، فلقد ظلت الأسئلة المرهقة تلح عليه وضاعت في ظلمة الليل الذي لا يسمع ولا يجيب"[2]

تنتمي قصيدة" حديث المقبرة" غلى بحر المقارب بحيث لا تخرج عن إطار الشكل التقليدي للقصيدة العمومية.

يقول الشابي في مطلعها:

أتفنى ابْتِسامَاتِ تلكَ الجفونِ؟ * ويخبوُ توهُجُ تلكَ الخدُودِ؟**

[1]- الشابي، أبو الديوان م1، الشعر أغني الحياة،تح: إميل أ، كيا، دار الجيل –بيروت-ط1: 1418هـ /1997م.ص225
[2]- م.ن :ص26

إذن فحرف الروي هو الدّال وهو حرف مجهور وقد بلغ عدد أبيات هذه القصيدة "واحد وسبعون" بيت(71).

- أبو القاسم الشابي:

- ميلاده وحياته:

- ولد أبو القاسم بين محمد بن أب القاسم الشابي في الشابية إحدى ضواحي توزر في شهر مارس من سنة 1909م.

" وفي سنة 1920 التحق بجامع الزيتونة، فأتقن القرآن والعربية، وتمرس بالأدب، كان له ميل شديد إلى المطالعة فحصل به وبنشاطه ثقافة واسعة جمع فيها ما بين التراث العربي القديم ومعطيات الفكر الحديث والأدب الحديث وغذى مواهبه بأدبه بأدب النهضة في مصر ولبنان والعراق وسورية والمهجر"[1]

كما نمى طاقته الأدبية والشعرية بالمطالعة بما ترجم إلى العربية والأدب الغرب، ولا سيما أدب الرومنطقية الفرنسية، وقد ظهر بنبوغه الشعري هو وهو في الخامسة عشر من عمره.

ويمكن أن نصنف مطالعاته إلى ثلاث مجموعات:

-" الأدب العربي القديم، وخاصة الشعراء (المشهورينو المغمورين) مع ميل واضح غلى الآثار الصوفية.

– الأدب العربي الحديث من خلال مدرستي أم هجر والمنشورات المصرية.

[1]- الفاخوري، حنا، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، أدب النهضة الحديثة، م4، دار الجيل –بيروت –ط2: 1411هـ/ 1991م.ص600

-الأدب الأوروبي من خلال الترجمات العربية والمؤلفات المصرية"[1].

فالشابي الشعراء الذين امتلأت حياتهم بالشقاء والألم وطفحت بالحرمان والتعاسة.توفي أبو القاسم الشابي يوم 26 أكتوبر 1934، علما أنه كان مصابا بداء تضخم القلب.

- **مؤلفاتـــــه:**

لقد خلف الشابي تراث أدبيا ضخما رغم الفترة اليسيرة التي عاشها، لكنه استطاع أن يحقق ابتكارا وإبداعا عبرت عنهما شاعريته، ومن بين الآثار:

1. في الشعر: ديوان "أنا في الحياة"
2. في النثر : الخيال الشعري عند العرب.
3. في القصيدة: "جميل بثينة " وقصص أخرى.
4. في الرواية:" في المقبرة" و"صفحات رامية"
5. في المسرح "السكير"
6. في الدراسات:" دراسة في شعر عم الخيام" نشرت في مجلة أبولو
7. في الرسائل:"رسائل خص بها الشابي أصدقاء: الشبروش، أبو شادي، إبراهيم ناجي، علي الناصر وآخرين.

- **مذهبه الأدبي:**

يعد الشابي من الشعراء الرومانسيين وليست الرومانسية وفقا على عصر أو امة أو مجتمع أوفئة في مجتمع، وغنما هي تيار شعري، فكري، وقد تمثلت الرومانسية العربية في إبداع صوره، وأحلى مظاهرها وأقوى اندفاعاته، كما تمثلت في سيرة أبي القاسم الشابي، وشاعريته وحياته وأدبه.

[1]- محمود الشيخ، الشعر والشعراء، دار اليازوري العلمية للنشر والتوسيع، عمان، الأردن– الطبعة العربية 2007 ص16.

ويستمد الرومانسيون من عالم الطبعة أذواقهم الشعرية والتعبيرية، وكذلك الشابي جزءا من تلك الطبيعة.

ولا بأس أن نعرج على بعض خصائص المذهب الرومانسي لما له من علاقة بموضوع بحثنا، ونعني بذلك الصورة الشعرية وعنصر الخيال الشعري، إذ تتخلص دعوة الرومانسية في الأدب فيما يلي:

- "تحطيم القيود الكلاسيكية والرجوع إلى الذوق والعاطفة والوحي والإلهام ومحاولة التجديد.
- العناية بالطابع الشخصي وما يتبعه من ألوان العواطف والشعور ومن ثم اتجهوا إلى الشعر الغنائي العاطفي.
- التحرر من العالم المادي إلى العوالم المثالية"[1]

ويعتبر كتاب " الخيال الشعري عند العرب" لأبي القاسم الشابي بدية تحول في تحديث الشعر العربي، وطرح رؤية مغايرة تستند بالأساس إلى مفهوم الخيال الشعري ودوره في إنتاج النص، فالخيال نشاط عقلي روحي يعمل على جمع أشتات من الصور المستدعاة لغاية المشابهة أو المنافرة، لكنها تنتظم بتأثير قوة الانفعال داخل نسق منسجم.

ولهذا راح الشابي يحدد منهجه في البحث فيقول:" أريد أن أبحث في الخيال عند العرب من ذلك الجانب الذي تتدفق فيه أمواج الزمن بعزم وشدة، وتنهزم فيه رياح الوجود المتناوحة مجلجلة دواية جامحة، وتتعاقب عليها ظلمات الكون وأضوائه وإصباح الحياة وإمساؤها، ذلك الجانب الذي

[1]- محمد عبد المنعم، عبد شرف، الشابي ومدرسة، أبولوط، ط1 1986 ص 197.

يستلهم ويستوحي ويشعر ويتدبر ويفكر أو بكلمة مختصرة أنني أريد أن أبحث عند العرب على ما سميته خيالا شعريا أو خيالا فنيا..."[1]

لقد حدد الشابي خصائص الرومنسية العربية في النقاط التالية:

- "انغلاق الشاعر على نفسه"
- الهروب من الواقع، التحليق في عالم الخيال وتذكر الماضي.
- الاندماج في عالم الطبيعة والدعوى إلى الموت كطريقة للتخلص من العالم المادي القذر"[2]

وكذلكتقديسه للعاطفة والإحساس والشعور فيقول:

عشْ بالشعــورِ وللشُعــور فإنما * دنياكَ كون عوَاطــف وشُعُر**

شيدتَ علَى العطفِ المعمَقِ وإنَما * لتجف لو شيدت علىَ التَفكِير**

- التعبيرعن السآمة والضجر والنقمة على الدهر والناس، وعن يأسه من الإصلاح والمصلحين، كما عبر الشابي عن الحب العاثر الحسرة واللوعة والحنين وتجلى ذلك في قصيدة بعنوان " أيه الحب":
- قال فيها:

أيهـــــا الحب أنت س بلائي * وهمومي وروعتي وعنـــــائي"[3]**

[1]- بن خليفة، مشري، الشعرية العربية، مرجعياتهاوابدالاتها النصية – دراسة- سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائري 2007،ص106

[2]- الحسن تاج السر، الابتداعية في الشعر العربي الحديث دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ / 1992م ص57-58.

[3]- م.ن.ص:8

الفصل الأول

- **المبحث الأول: مصادر الصورة الشعرية عند الشابي.**
  - **الطبيعة.**
  - **النفسية.**
- **المبحث الثاني، أنواع الصورة الشعرية عند الشابي.**
  - **الصورة الشعرية المفردة.**
  - **الصورة الشعرية المركبة.**
- **المبحث الثالث: الصورة الشعرية والخيال.**
  - **فلسفة الخيال عند كوليريدج.**
  - **معطيات الخيال عند الشابي.**

المبحث الأول: مصادر الصورة الشعرية عند الشابي

- **الطبيعـــــة:**

لقد مثل الميل إلى الطبيعة لدى الرومانسيين مرحلة حضارته فكرة الثورة على القيود والتقاليد والظلم، وذلك منذ أن دعا "جان جاك روسو" إلى أن يتعلم الإنسان من طبيعة مباشرة، وليس مما اعتاد الناس من مواصفات، ومنذ ذلك الحين صار التوجه إلى الطبيعة يمثل ميلا إلى الفطرة والنقاء والحرية، ولقد عرف عن الرومانتيكيين حبهم للوحدة ورغبتهم في ترك المدن والفراغ غلى الطبيعة بما فيها من الحقول والبحار والجبال بعيدا عن مشكلات المجتمع وهمومه وحربه"[1]

فتناولوا من مناظرها التي تتلاغم مع أحاسيسهم مع حياتهم، كالعواصف، القمر، الليالي المظلمة، الأمواج الهائجة، ويصفون سقوط أوراق الأشجار وتلبد السماء بالغيوم، والضباب وتساقط الثلوج، فهم لا يحبون الطبيعة فحسب، بل يعدونها آم وصديقة التي تشاركهم مشاركة قلبية وروحية، فالطبيعة صورت بشكل رائع، وتفاصيل مشرقة و لم تظهر كخليفة للأحداث، بل كانت علة صلة وثيقة بنفسية الشاعر وشخصيته، وإنها تعبر بصورة لا تقبل الجدل عن الحياة الداخلية للشاعر التي يضيفها إلى الطبيعة".[2]

فالشاعر بذلك يعبر عن الحنان الجديد الذي قاده أبوا الشاي الاهتمام بالنور والأضواء بوصفها مظهرا من مظاهر الطبيعة، وكان دائما ينادي بان الحياة أشعة، ومما يذكر لأبي الشادي أنه حفز شعراء الجيل الجديد على الاهتمام بشعر الطبيعة، فهام شعراء، "أبولو" بالطبيعة.

[1]- عبد شرادالشلتاغ، مدخل غلى النقد الادبي الحديث، دار المجدلاوي عمان، ط1،1998،ص 198
[2]- الحسن تاج السر، الابداعية في الشعر العربي الحديث، ص200

وقد بلغ اهتمامهم بمظاهرها غلى حد إن جعلوا عناصرها عناوين لقصائدهم فالشابي ألف تسعا وعشرين قصيدة تضم عناصر الطبيعة منها: في الظلام، أنشودة الرعد، أيها الليل، بقايا الخريف، مناجاة العصفور، قبضة من ضباب، تحت الغصون، وغيرها مستمدة من الطبيعة التي تتوافق ومشاعره، ففي قصيدته " في الظلام" يقول:

رفرفت في دجية الليـــــل الحزين * زمرةالأحلام**

فوق سرب من غمامات الشجون * ملؤها الآلام[1]**

فالشاعر في غمرة سكون الليل ترفرف عليه أسراب الأحلام التي تعلوا من الأحزان المتراكمة، ثم يأتي الشاعر في نهاية القصيدة مشيرا غلى الفجر الذي يبرز من خلال ظلمة الليل ومحاولة ربط ذلك بالمذهب الرومانسي فيقول:

ثورة الشـــر، وأحلام الســـلام * وجمـــال النـــور**

وابتسام الفجر في الحزن الظلام * في العيون لا حور[2]**

وهذا هو شان الرمنسيين فقي ولوعهم بمناظر الطبيعة، إذ تثور خواطرهم في هدأة الكون، كما عنوا بوصف فصول السنة المختلفة وخصوصا الربيع والخريف، فكان الربيع يمثل لهم الحياة والنشاط والسعادة، أما الخريف فكان مظهر الفناء والذبول، وأحيانا يمثل مظهرا للتجديد

[1]- الديوان ،ص286

[2]- الديوان ،ص 288

والنضوج، إما شعراء مدرسة"أبولو" فغن وصفهم للخريف يملأ دواوينهم زمن ذلك قول أبي القاسم الشابي في قصيدته " بقايا الخريف":

وبينَ الغصونِ التِي حَــردَهَا * ليَالي الخَريفِ العســوُفِ**

وقفتِ حوَلي غدِير، مــوات * تمادتْ به غفوات الكهوُفِ**

قضت في حفافيهِ تِلك الزهُور * فكَفَنَهُ بِصَقيعِ الخـــرِيفِ**

فالشاعر يقف بين الغصون العارية من الأوراق على اثر فعل ليالي الخريف القوي التي تحمل الفناء والموت على جناحيها، والشاعر في ذلك العناء يجاوره نهر ميت لا حراك فيه وعلى جوانب هذا النهر الذي انعدمت فيه الحياة تتأثر الأزهار الميتة التي تلبس الصقيع كفن مما يدل على البرودة والجمود وهكذا أحس الشابي بالخريف.

فالشابي اهتم بما هو نام كالأشجار والنبات والزهور، وبما هو ميت كالأرض والصخر والرمل، وبما هو جاري كالبحار والأنهار، وبما هو خاص بالجو كالسماء، والكواكب والمطر، الرياح، العواصف، وكذلكم اهتم بالطيور كالعصفور، في قصيدته " مناجاة عصفور" حيث يقول:

يا ليها الشادي المغرد، هاهنا * ثملا بغبطة قلبه المســـــرور**

متنقلا بين الخمائل، تاليـــا * وحي الربيع الساحر المسحور[1]**

[1]- المصدر نفسه ،ص354

فاستخدم الشاعر أسلوب النداء دلالة على الحرية التي تعتبر خاصية من الخصائص الشعراء الرومنسيين.

ويقول الشاعر في قصيدة "**إلى البلبل**":

أيها البلبل يـــا * شاعرأحلام الربيـــع**

غنني إلى عـــلى * صوتك أنداء الدموع**

غنني فهو يريني * أمل القلب الصريـــح**

فالشاعر في هذه الأبيات يتغنى بالبلبل الذي يراه ملمح طبيعي يشفيه من جروحه العميقة، وبالتالي فان لجوء الشاعر غلى الطبيعة هو الحل الوحيد الذي يريح نفسيته.

" ويرى **سعيد حسن منصور** أن الشاعر الرمنسي كان يستعين بالطبيعة بكل مظاهرها في إخراج صوره الشعرية على أن يراعي صنوف التشابه التي تربط مابين الصورة الطبيعية وجوهر الأفكار والمشاعر بحيث لا يقف هذا التشابه عند حدود المظاهر الحسية"[1]

فالشابي رومنسي وذاتي في صوره، حيث يصف الطبيعة والأشياء من خلال ذاته، فنفسه مرآة لما حوله ومن حوله، ولهذا اختلطت مظاهر الحزن والألم عنده بمظاهر الطبيعية، والتي جعل منها مظاهر تتجاوب مع حالته النفسية وتعبر عن مشاعره الذاتية ففي قصيدة " قال قلبي للإله" يصور ما تحس به النفس ويرسم لنا لوحة تظهر فيما مشاعره ولكن بطريقة مجازية يقول:

[1]- احمد عوين، الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، ص141

في جبال الهمـــوم انبـــــت * أغصانيفرفت بين الصخور بجهدي**

وتغشاني الضباب ،فأورقت * وازدهرت للعواصـــف وحـــدي[1]**

وتغزلت بالربيع وبالفجـــــر * فمـــاذا استفعـــل الريـــح بعـــدي**

فعبارة " انبت أغصاني ، تغشاني الضباب، أورقت وازدهرت" هي مجازات استعملها الشاعر ، وهذا الاستعمال المكثف لها في الأبياتراجع إلى عجز اللغة العادية عن الإلمام برسالة الشاعر ومكنونات نفسه المعذبة ولهذا نجد الشابي كثيرا ما يستعمل في قصائده اللغة الشعرية التي تحتوي على العديد من المجازات والإيحاءات...الخ

ويرى الكثير من الشعراء أن خير الشعر ما كان جزءا من الطبيعة كالنجم أو السماء أو البحر، وان شر الشعر ما كان أكثره صنعة كاذبة، فالشعر إذن هو ما اتفق إذن هو ما اتفق على نسجه الخيال والفكر معبرا عن كلمات النفس والعواطف والانفعالات فدعمت بذلك جماعة أبولو الشعر بألوان من الرمزية والسريالية والواقعية وغيرها من المذاهب كما وضعت مفاهيم جديدة للفظة الشعرية والصورة في الشعر.

تأثر الرومانتيكيون بالطبيعة وعناصرها" فكانوا ينشدون السلوان فيها، ويبثون حزنهم ويناظرون بين مشاعرهم ومناظرهم ومناظرها فقد يضيقون بمناظرها الجميلة لأنها لا تعبا بحزنهم وكأنها تسخر منهم، وغنما يستجيبون لمناظرها الحزينة لأن لها صلات بخواطرهم ومصادرهم"[2] فمثلا في فصل الخريف أين تتساقط الأوراق فتبقى الغصون عارية على أثر فعل لياليه دلالة على أن

[1]- الديوان ص: 460-461

[2]- محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، دار الثقافة بيروت 1973 ص 73

الشاعر الرومانتيكي مليء بالأحزان وهكذا يستجيب الشاعر لمناظر الطبيعية الحزينة (فصل الخريف).

- **النفسيـــة:**

تجلت ثورة الرومانتكيين في المشاعر والحساسية،" فأصبح الأدب الرومانتيكي يعتمد على العاطفة والعاطفة في طبيعتها فردية ذاتية وعلى الإحساس الفردي، والشعور الذاتي وهذه الذاتية الرومانتيكية لها خصائص تتجلى على الأخص في عدم الرضا بالحياة في عصرهم، وفي القلق وأمام عالمهم وما يعج به من الأحداث، وفي الحزن الغالب على أنفسهم "[1]،وبهذا يعتصمون من الواقع للانطواء على أنفسهم ،معبرين بذلك عن أفكارهم وخواطرهم .

"فالرومانتيكي غريب في عصره بشعوره وإحساسه ،لذا كان عصبي المزاج ،ذا نفس سريعة التأثروعقل جسور ولوع بالجري وراء المتناقضات وبالطرق في كل أحواله ،وقلبه عامر بعواطف إنسانية عمادها الوطنية أو الحرية أو الحب القوي الذي يعلو بنفوس ذويه ،أو الطاغي الذي يستبد بضحاياه."[2]

ولم يكن بالمرح ولا بالمتفائل ،وإنما كان فريسة ألم مرير نسيب الطغيان الشرور في مجتمعه وانهيار أماله، ولذا كان الحزن مصاحبا للشاعر الرومانتيكي، وهذا الحزن يدل على عزلته ونفوره من المجتمع واضطراب شعوره، فنجده يتمنى الموت في أسعد لحظات حياته لشعوره بأن هذه السعادة لن تدوم وفي هذا يقول الشابي في قصيدته "إلى الموت"

ويقول الشابي وهو في حالة الحزن والأسى في قصيدته"الدموع"

[1]- محمد غنيمي هلال
[2]- م.ن.ص:57

وقد اختلطت الأحاسيس نحو الطبيعة بمشاعر ه نحو المرأةحيث يقول في قصيدته" صيحة الحب":

يافتاتي ... ذكري الليل بمـــا * نفثته الروح في صـــدر الظـــلام**

واسألي أملاك حبي في سمـــا * عن خشوعي، وابتسامي للسقام[1]**

وفي إحساسه بالغربة والألم والكآبة ونشدانه الحرية والعودة إلى الماضي نجده يتمنى أن يعيش بعيدا عن شعبه وعن مجمعه المادي الذي يئس من إصلاحه منفردا بين الجبال والغابات قائلاك:

ليـــت لي أن أعيـــش في هذه * الدنيا، سعيدا بوحدتي، وانفرادي**

أصـــرف العمر في الجبال وفي * الغابـــات، بين الصنـــوبر الميـــاد**

ليس لي من شواغل العيش ما * يصرف نفسي عن استمتاع فؤادي[2]**

ونجده يدعو كذلك إلى هوان الحياة،حيث يرى في الموت الراحة والسعادة والرحمة قائلا:

إلى الموت ، إن شئت هون الحياة * فخلف ظـــلام الردّى ما تريـــد**

إلى الموت، ياابن الحيـــاة التعيس * ففي الموت صوت الحياة الرخيم**

إلى الموت، إن عذبتك الـــدّهور * ففي الموت قلب الدّهر الرّحيـــم[1]**

[1]- المصدر نفسه، ص263

[2]- م،ن،ص:359

فتكرار كلمة"الموت" تدل على حرص الشاعر على الموت،فذلك الموت هو طيف الخلود،وينبعث مرة أخرى ربيع الحياة الذي ذبلت أزهاره في الحياة الدنيا،يقول:

هو الموت طيف الخلود الجميل * ونصف الحياة الذي لا ينوح**

هناك ... خلف الفضاء البعيد * يعيش المنون القوى الصبوح**[2]

ونجد كثيرا من القصائد التي يناشدفيها الشابي الموت التي تريحه من الحياة التي ملؤها الشقاء العذاب والأسى والألم، فطالع علينا بقصائده"**في ظل وادي الموت**" "**زوبعة في الظلام**" "**الجنةالضائعة**""**أنا أبكيك للحب**""**أغاني التائه**" "**أبناء الشيطان**""**نشيد الجبار**".

كما نجده متفائلا بالحياة واصفا إياها بالقيتارة في قوله:

أن هذي الحياة قيتارة الله * أهل الحياة مثل اللحـــــــون**

نغم يستبي المشـــــــاعر * كالسحر وصوت يخل بالتلحين**[3]

الحزن و الألم يجعل الشاعر الرمنسي يقدر اللذة ، يقول الشابي في قصيدته " **دموع الألم**"

حسرات تهيجها الذكريات * ودموع تفيضها الشهقـــات**

[1]- م،ن،ص: 189
[2]- م،ن،ص: 191
[3]- الديوان ص144

وشجون تثـــير في القـــلب * آلاما تغني بصوتها الآنـــات**

من لقب إذ انتهـــد حزينـــا * صد عنه الشجون والغصات**[1]

ففي هذه الأبيات برز حزن الشاعر وألمه من خلال تذكره للذكريات الحزينة، ومع ذلك نجده يقدر اللذة والأيام الحلوة التي عاشها مع من أخذتهم الموت عنه.

وفي قصيدته " ليلة عند الحبيب" يصور لنا وقوعه في شراك الحب قائلا:

أنا مأسور لذات الحجب * بنبال صوبت عن كثب**

كاعب، هيفاء،بض،طفلة * دمية منها جميع العجب**

قبلتـــــني ولهيـــب الألم * المر في مدمعها المنسكب**

ثم قال: ياحبيبي! سر، على * كلإ الرحمان في المنقلب**[2]

وقد بلغ أبو القاسم الشابي في أحيان كثيرة غايةالتوفيق في التعابير عن مشاعره وعواطفه تعبيرا حيا، معبرا عن ذاتيته كما نجده يظهر آهاته وحسراته قائلا في قصيدته" أغاني التائه":

آه ! ماأهول إعصار الحياة! * آه! ما أشقى قلوب الناس! آه !**

كان في قلبي فجر، ونجوم،

فإذا الكل ظلام وسديم

[1]-المصدر نفسه ص 180

[2]- م، ن،ص: 278-280-281

كان في قلبي فجر، ونجوم.[1]

فتكراره لكلمة "آه" في هذه الأبيات دليل على كرهه لمجتمعه التعيس الذي يعيش فيه، وكذلك تشاؤمه للحياة وتجلى ذلك من خلال قوله في عبارة " آه!وما أحول إعصار الحياة!" واستعماله صيغة" ما أحول" دليل على أن الحياة مليئة بالتعاسة والمرارة.

وهذا هو الشابي يتألم لما يراه في المجتمع ويعذبه شعور دائم بالغربة في حياة مليئة بالمرارة، حيث اتسم تعبيره بالفخامة لمعنى الكآبة والفشل الإحساس بالحزن الكبير. إذن ارتبطت المصادر النفسية للصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي بآلامه معاناته عن تجاربه الخاصة والمتعلقة بالغربة الروحية والفكرية وكذلك الاجتماع

المبحث الثاني: أنواع الصورة الشعرية عند الشابي

يتميز شعر الرومنسيين بالتعبير بالصورة والانتقال من الصورة الجزئية إلى صورة كلية تبين شيئا مترابطا متلاحما، وينتقلون بعد ذلك إلى وحدة القصيدة، وذلك من خلال سيطرة الجو النفسي واحد يدخل إلى كل أجزاء القصيدة كما أن للألفاظ وتوافقها دخلا كبيرا في تكوين هيكل الوحدة.

وكما أن الافتنان بالغة هيأ لأبي القاسم الشابي مناخا غنيا بالابتكار، وزاخرا بحركة الصورة الشعرية، والعلاقات اللغوية حيث يرى " وميزات" أن الشعر يقدر لنا ماهو عين وكلي أوما هو فردي وكلي وبطريقة غربية"[1].

[1]- الديوان ، ص:428

وفي هذه –الحالة تبقى الصور المفردة مرتبطة بالكل لها طعمها الخاص المختلف عن باقي الصور الأخرىبالإضافةإلىأن اللذة الموجودة في العمل الفني هي نتيجة من الكل .

وقد فرق **فوغل** بين الصور البسيطة التي عرفها بأنها مقارنة كلامية وصيغة بلاغية وبين الصور المركبة فقد أكد على أن الصور المركبة هي أيضا مجازية .

–الصورة الشعرية الفردية :

يطلق الشاعر الوجداني العنان لعواطفه وخياله فمزج بين إحساسه ومشاهد الطبيعة والحياة ،ونجده يكثر من تلك المشتقات والمرادفات .

ومن بين الشعراء الرومانسيين الذين سلكوا هذا المنهج "أبو القاسم الشابي "الذي يعتمد في صوره على كثير من المتشبهات والمجازفات الطبيعية والخيالية التي تتوافق ووجدانه الحار والتي تكثر فيها ألفاظ محملة ومشحونة بالدلالات والرموز ،وتأتي هذه العناصر في الصورة الشعرية التي يتحدث فيها الشاعر عن أمالهوأحلامه وهمومه ،حيث يستمد مادة صوره في اغلب الأحيان من عناصر الطبيعة جاعلا منها رموزا لاحاسيسه ومشاعره .

ومن تلك الصورة يأتي جامع بين الأوانوالألحان أو بين مجازات وتشبيهات يسيرة لتضفي على الأبيات جوا من الجمال، سواء استخدام الألفاظ ومشتقاتها ومفرداتها آو لفظ أشواق ومشاعر غير محدودة.

كما يتميز الشعراء الرمنسيين بشدّة الإحساس بما في الحياة والمجتمع والنفس والطبيعة من تناقضات، لهذا يبنون كثيرا من صورهم الشعرية على المقابلة بين المفردات وكثيرا ما يعبرون عن هذا

[1]- عبد القادر الرباعي ،الصورة الفنية في شعر ابي تمام ،نشر بدعم من جامعة البرموك ،اربد ،الاردن ط1،1980م ينظر ص145

الإحساس بالتناقض، فينسبونه إلى القلب لاحتوائه الأضداد (الحب، الكراهية...) وهو معنى يتردد عند الكثير منهم كقول الشابي: في قصيدته" الأبد الصغير"

ياقلب، كم فيك من كون قد اتقدت فيه الشموس، وعاشت فوقهالأمم

يا قلب كـــم فيـــك من أفق تنمقـــه كواكـــب تتجـــلى، ثُمَ تنعـــدمُ

ياقلبُ كـــم فيك من قبرٍ،قد انطفأتْ فيه الحـــياة وضـــجت تحته الرمم[1]

فتكرار نفس العبارة "يا قلب "في بداية كل بيت شعري هو بمثابة دلالة مفتاحية تحاول الاجابة عن تساؤلات .

والى جانب هذه المقابلات اللفظية كانت تقوم قصائدهم على التناقض بين الواقع والمثال إلىأن تصبح كلها رمزا للموقف الرومانسي من الحياة والمجتمع والحب .

"وما أكثر ما صوروا لوعتهم ،وهم يشهدون تماثيلهم الخيالية حطاما على صخور الواقع الصلب ،وما أكثر ما عبروا عن روعتهم ،حيث تنكشف لهم طبيعة وأخلاق الناس عن غير ماكانوا يظنون لكنهم في كل هذا قل إن يفتلوا من البيان اللفظي والمقابلات المباشرة "[2].

فلقد مزج الشعراء بين الخيال والواقع دون أن يبتعدوا عن استخدام البيان اللفظي والمقابلات ،يقول الشابي :

"فالصورة المفردة البسيطة التي تتضمن تصويرا جزئيا محددا ولها دلالاتها التي تكتمل داخل السياق الصوري الشامل .وقد ينحصر في كلمتين فقط ،يتجاوران على نحو بنيوي متفجرا

[1]-الديوان ،تح،اميل ،ا،كيا،ص 206

[2]-عبد القادر القط ،الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ،دار النهضة العربية بيروت ،ط2،1981م-ص430

بالدلالات الغامضة الخصبة"[1].مثلما نجد عند الشابي :"صوت الظلام " "ندب للامابي " "أغاريد الصباح " "أغاني النور "...وتبنى هذه الصور بأساليب عدة منها :التجسيد أو التشخيص وهو أن تنسب صفة إنسانيةإلى غير ما هو غير أنساني،التجريد،التشبيه،التجسيم ،ويقول الشابي في قصيدته

أظل الوجود المساء الحزين * وفي كفه معزف لا يبـــــين**

وفي ثغره بسمات الشجون * وفي طرفه حسرات السنـــين**

وقبلـــه قبلا صـــامتـــات * كما يلثم الموت ورد الغصون**

وأفضى إليه بوحي النجوم * وسير الظلام ولحن الســـكون [3]**

"أغنية الأحزان ":

كف عن تلك الأغاني الباسمة

أيها العصر

فحياتي الفت لحن الأسى[2].

فهنا تشخيص لان الشابي نسب صفة للإنسانإلا وهي "الغناء "للعصفور (إلى غير الإنسان).

ويقول في قصيدة "المساء الحزين

يرى عبد القادر القط إن :"الأبيات حافلة بتلك الألفاظ التي تدور حول المعني الجديد للمساء وما يختلط فيه من مشاعر متباينة تراوح بين الأسى والفرح والسكون والحركة والظلام والنور ،فالشابي جمع كل أطراف الموقف الشعوري المركب إزاء المساء ويرسم صورته بكل ما في جوانبها

[1]-إبراهيم الروماني ،الغموض في الشعر العربي الحديث ،الساحة المركزية ،بن عكنون ،الجزائر ،د.ط.د-ت-ص267

[2]-الديوان ،ص174

[3]الديوان ،ص183

ولحظاتها من مفارقات ومتناقضات مستخدما تلك الطائفة من الألفاظ ذات الدلالات الوجدانية غير المحددة "[1].

والكثير من الشعراء من تفتنه هذه الألفاظ فيوردها متتابعة بما فيها من إيحاء غامض ودلالات غير محدودة ولما بينها من تقارب في المعاني فنجدهم يستعملون صيغة لغوية بسيطة كالإضافة ثم يوردون تلك الألفاظ معتمدين على إيقاع صيغها حين يربط بينها جو نفسي آو جمالي من حزن آو مشاهد طبيعية .

والشابي من بين هؤلاء الشعراء في استخدام هذا الأسلوبوكان وجدناه القلق ومرضه وحياته القصيرة لم تسمح له في رسم صوره ،وعلاقة الجو النفسي بالمعجم اللغوي هو قلق نفسي وجداني ،وذلك من خلال توظيف ألفاظ حزينة فاستعمل شاعرنا هاته الأبيات المواتية التي تعكس هذا القلق في قصيدة قلب الأم ":

يصغي لصوتك في * الوجود ولايرى إلاهاك**

أصوات **يصغي لنغمتك الجميلة *** في خرير الساقية**

في رنة المزمار ،في * لغو الطيور الشادية**

أصوات **بشرية** **فيآهة الشاكي *** وضوضاء الجموع الصاخبة**

في شهقة الباكي * يؤججها نـــواح النـــادية**

[1]-عبد القادر القط ،الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ص-352

مثألمة

كل أصوات **الوجود على الإطلاق**

وفي كل أصوات * الوجود،طروبها وكنيبها**

ورحيمها ،وعنيفها ***وبغيضـــها وحبيبـــها[1]

فهنا يمكن التدرج في توظيف معطيات الأصوات ،ومن الإضافة،عدل الشابي إلى المقابلة اللفظية كقوله:(طروبها وكئيبها ،رحيمها وعنيفها ،بغيضها وحبيبها).

ولفتنة الشاعر بصيغة الإضافة نجده في الكثير من القصائد يستعيض بالألفاظ عن الصور ويكثر من استخدام هذه الصيغة ،من مثل قوله (الروض المطير ،شاطئه المنير ،الورق النظير ،الشيخ الكبير)،في قصيدته "الجنة الضائعة ":

ونظل نعبث بالجليل ≠ من الوجود وبالحقير

بالسائل الأعمـــــى * وبالمعتوه والشيخ الكبير**[2]

[1]-اليوان ص220-221

[2]-المصدر نفسه ص -447

ونجد الشابي يفصل أحيانا بين كلمات معجمه الرومانسي بشيء من الأوصافوالأحوالوالتشبيهات الموحية غير المفردة ،يقول في قصيدته "تحت الغصون ":

فلمن كنت تنشدين ؟فقالت ** للضياء البنفسجي الحـــزين

للضباب المورد المتلاشي ** كخيالات حالم مفتـــــون [1]

اعتمد الشاعر من خلال هذين البيتين على طائفة من ألفاظه المعهودة و بأسلوبالإضافة والوصف والترادف إذ تجلى الوصف في قوله :"الضياء البنفسجي "في حين نلمح التشبيه في عبارة "كخيالات حالم مفتون "ونستشف الحال في قوله "للضباب المورد المتلاشي "،"كخيالات حالم مفتون "،"الضياء البنفسجي الحزين "،بالإضافةإلى احتوائهما على الرمز والغموض كما في قوله :(للضياء البنفسجي الحزين) كما تثير الإحساسبإيقاعها اللغوي مثل (للينابيع ،للعصافير ،للشباب السكران ،للأسى والمنون).

ونجده أيضا يستعمل الخفة في إيقاعالقوافي ،حيث لا ينتقل من صورة إلىأخرى قبل أن يفصل أجزاءها ويربط بينها بإحساس واحد عام ،حيث يتحدث في هذه الأبيات من قصيدة "الذكرى "عن بعض همومه ولكن بشكل حديث فيقول:

يا أيها القلب الشجي * الأم تخسرك الشجون ؟**

رحماك قد عذبتني * بالصمت والدمع الشجون**

مات الحبيب وكل ما ***قد كنت ترجو أن يكون

[1]-المصدر نفسه ص-334

فاصبر على سخط الزمان * وما تصرفه الشؤون**[1]

ونلاحظ هنا نغمة جديدة فيها المرأة شريكة الحياة ورفيقة العمر وعونا في مواجهة الهموم والأحزان

.

وهناك الصور الذهنية التي تصنف إلى بصرية وسمعية وشمسية وذوقية ولمسية ،حيث أن الصورة في المفهوم الجديد هي تشكيل لغوي وليدة الخيال ،واغلبها مستمدة من الحواس إلى جانب الصور النفسية والعقلية ويدخل فيها كذلك التشبيه والمجاز والتقابل والألوان من مثل قول الشابي في قصيدة "الحاني السكرى ":

نحن نحيا كالطير في الأفق * الساجي وكالنحل فوق غصن الزهور**

نحن نلهوتحت الظلال * كطفلين سعيدين في غرور الطفولة** [2].

وتجلى التشبيه هنا في قوله "نحن نحيا كالطير ""وكالنحل فوق غصن الزهور " "نحن نلهو...كطفلين سعيدين " فالتشابه هو صورة تجمع بين أشياء متماثلة وأساس هذا التماثل والتشابه كامن في النفس والشعور ،حيث أن روح الشابي وحدها التي هيأت ذلك ،وجعلته ممكنا في هذه الصورة الشعرية ،والتشبيه ،بدون أداء اقرب إلى الاستعارة –والشابي في هذا الصدد يقول في قصيدته "إلى الطاغية "

ستجري اوصاب الحياة، وتنتشي * فتصغي إلى الحق الذي يتكلم**[3]

[1]-الديوان ص-303
[2]-المصدر نفسه ص330-331
[3]- المصدر نفسه ص 330-331

استعارة مكنية حذف تشبيهه بالإنسان ورمز له بأحد لوازمه "التكلم" حيث شبه الحق بالإنسان يتكلم الإصغاء الإنصات، وهنا تشخيص حيث رفع الحق الشيء المحسوس إلى درجة الإنسان ومنزلته، وقد تكررت هذه اللازمة بكثرة عند أبي القاسم الشابي بحيث عمد في قصده إلى تجسيد الحقائق النفسية والشعورية والذهنية في قالب مادي ملموس.

ويقول أيضا في قصيدته : " ياشعر":

يَا قلبُ لا تكسبِ * دمُعة بالفضَاء فتنـــدَم**

فـــعلىَ إبتسامـــاتٍ * الفضاء قسَاوة المتهكِم**

" تكسب دموعك" قد نسبها إلى القلب وهنا استعارة حيث شبع القلب بالإنسان في ذرفه الدموع.

واعتمد الشابي كذلك أسلوب التكرار في مثل قوله في قصيدة" تونس الجميلة"

غير أناتن وبثنا الرزايا * واستباحت حمانا أي استباحة[1]**

ويؤكد الشابي الفكرة بإيراده أو المفعول المطلق، ليصل بالتكرار غلى تصوير آلامه وفزعه، وهنت يحفز أهله لمواجهة هذه الرزايا (المصيبة العظيمة).

إلى أن يقول:

أنا يا تونس الجميلة في لج * الهوى قد سبحت أي سباحة[1]**

[1]- المصدن نفسه ص469

وهنايستأنف مقطعا آخر يوضح فيه موقفه من بلاده فينادي تونس ويخبرها بأنه في بحر هواها، قد سبح سباحة العاشق فنجده يعبر عن هذا بالمصدر النكرة "سباحة" ليضخم الصورة.

كما عمد الشابي إلى استعمال المقابلة بين الصور والمفاضلة بينها من مثل قوله في قصيدة " الذكرى".

ورد الحياة مرنق * والموت مورده معين**[2]

هنا مفاضلة بين الحياة والموت، وهذا نتيجة التناقض الشديد الذي يعيشه الشاعر بين الحياة المعكرة والموت الصافية، ليفصل في الآخر الموت الذي سيريحه.

كما أن للصفة دور في بناء الصورة الشعرية يقول الشاعر في قصيدته "الماء الحزين":

أظل الفضاء في جناح القروب * فألتقي عليه جمالا كئيب**

ألبســـه حلة من جـــــــلال * شجي قوى جمل غلوب**[3]

فتتوالى الصفات في هذين البيتين، لان يريد تنويع إيقاعه، فوراء صورة " الجلال" تتدفق الصفات "شجي، قوي، جميل ، غلوب"

ومن التضاد يورد الشابي هذا في قوله:

أيها الحب، أنت سر بلائي * وهمومي وروعني وعنائي**

[1]- المصدر نفسه، من نفس الصفحة
[2]- المصدر نفسه ص304
[3]- الديوان ص185

ونحولي ودموعي وعـــذابي * وسقامي ولوعتي وشقائي**[1]

أيها "الحب" هي بمثابة عبارة مفتاحية يفتتح بها الشابي قصيدته ويكشف من خلال همومه وآهاته ويبوح بآلامه وآماله، ثم يعقب هذه الصورة بصورة أخرى قائلا:

أيها الجب أنت سر وجـــودي * وحياتي وعزتي وغبائي**

وشعاعي ما بين ديجور دهري * أليفـــي وقرتي ورجائي**[2]

هنا يكمن التغني بالحب.

فالشاعر يسعى دائما إلى تفريغ الذات والتعبير عنها في موضوع يناسبها، سواء كان علينا(الصورة المفردة) أم كليا (القصيدة) فالصورة لاقيمة له خارج سياقها، وبهذا تبقى الصورة المفردة جزءا لا يتجزأ من الكل، فهي مرتبطة به عم بقائها حية محافظة على ذاتيتها.

- **الصورة الشعرية المركبة:**

لقد أثرت ثورة العقاد والمازني في حركة التجديد، كما كن لشعراء المهج الفضل في إحراز نصر حقيقي على نية القصيدة شكلا ومضمونا، فغلبت على أسعارهم تلك الصورة الرمزية الإيحائية وانتشرت في أعمالهم الوحدة العضوية، فأصبحت القصيدة تجمع كل من الفكر والعاطفة، اللغة والموسيقى ، كما أصبحت يبع في داخله إحساسا واحد يتطور حتى يؤدي إلى الوحدة والتكامل فيقول إليزابيت درو:

[1] المصدر نفسه ص265

[2] - المصدر نفسه، من نفس الصفحة

"إن وحدة القصيدة بناء عضوي قام على أساس تنظيم الانفعالات وإخضاع التعدد للوحدة واستخراج النظام من الفوضى."[1]

ذلك أن للشعر قيمة إنسانية قبل أن تكون قيمة لفظية أو صناعية والقصيدة بنية حية وليست أجزاء متناثرة يجمعها الوزن والقافية.

وقد دعت مدرسة أبولو هي الأخرى إلى إن تكون القصيدة عملا متكاملا، وبنية عضوية حية تتفاعل عناصرها جميعا كتفاعل الأعضاء المختلفة في الجسم الحي، فالصور في الشعر الحديث تتميز بالتكامل والترابط، حيث تتابع الصور الواحدة تليالأخرى في القصيدة الواحدة، دون أن يقطعها شيء يفرق تلاحمها،وذلك من خلال وجود خيط نفسي وفقا لشعور ونفسية الشاعر فيلتحم ما هو جزئي بما هو كلي من خلال العلاقة بين الصور والتي قد تكون فكرية أو عاطفية تطور موضوع القصيدة وتوفر ترابطها .

" والوحدة عند عبد العزيز الدسوقي تتحقق من خلال تنسيق الأفكار والصور الشعرية والأخيلة والعواطف وان يخرج البناء الفني متكامل الأجزاء ،متناسق الشكل والمضمون ،محققا الوحدة الفنية "[2].

وهكذا ما نجده في قصيدة الشابي في " وادي الموت" مليئة بالتعبير الرمزي وهي ربما تعميم لتجربة إنسانية وإشراك آخر في مجرياتها، حيث يقول:

نحن نمشـــــي وحولنا هاتـــــه * الأكوان لكـــن لأيـــة غايـــة؟**

نحن نشـــــد مع العصـــــافير * للشمس، وهذا الربيع ينفخ نايه**

نحن نتلـــــوا روايـــة الكـــون * للموت ولكن ماذا ختام الرواية؟**

[1]- عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في الشعر أبي تمام ص 191

[2]-بسام قطوس ،وحدة القصيدة في النقد العربي الحديث ،دار الكندي ،اربد ،الاردن ،ط 1-د-ت ص181

هكـــذا قلت للريـــاح فقـــالت * سل ضمير الوجود كيف البداية؟**

وتفشى الضباب نفسي فصاحت * في ملال مر، إلى أين امـــــشي؟**

قلت سيري مع الحياة.. فقالـــت * ماجنينا ترى من السير أمـــس؟[1]**

لقد عمد الشاعر على تكرار الضمير "نحن" وذلك لشراك الآخر في مجرى تجربته الإنسانية، كما انه وضف الكثير من الإستفهامات وذلك ربما رغبة في العثور على أجوبة المسائل الغمضة والمبهمة كما أن هناك نظرة يأس وقنوط وفقدان أمل ينفي فائدة الانتظار.

وكذلك تزخر هذه القصيدة بالصور والأضواء والظلال، فاستطاع بذلك الشابي أن يبني قصيدته بناءا فنيا محكما كأنه سنفونية تبدأبأنغام هادئة " نحن نمشي ومن حولنا هاته الأكوان" ، ثم تشتد حينما يتساءل عن الغاية "لكن لآية غاية" ثم تعلوا عندما ينادي قلبه "هاته علني اخط ضريحي" ، ثم تزداد الأنغام ارتفاعا فنصنع صراخها في قوله:

هاته فالظلام حولي كثيـــف * وضباب الأسى منيخ عليا**

وكؤوس الغرام اترعها الفجر * ولكن تحطـــمت في يديا**

ثم تبدأ الأنغام بالهدوء عندما يتكلم الشاعر ماضيه وحاضره، وكيف رقص في الحياة مع الماضي،وشدا مع الشباب، وكيف سار في حاضره مع الليالي حافي القدمين فوق الأشواك في قوله:

[1]- الديوان ص234.

قد رقصنا مع الحياة طويلا * وشدونا مع الشباب سنينا**

وعدونا نع الليالي حفـــاة * في شعاب الحياة حتى دمينا**

وأكلنا التراب حتى مللنـــا * وشربنا الدموع حتى روينا**[1]

ثم نحس بعدها بلوعة الشاعر، ونشعر بالقرب من النهاية، حيث يدفن نفسه في ظلام الفناء، فنسمع اللحن وكأنه يشيع جنازته قائلا:

في ظـــلام الفنـــاء ادفن * أيامي، فلا أستطيع حتى بكاها**

وزهر الحياة تهوي بصمة * مخزن مضجـــر على قدميـــا**

جف سحر الحياة ياقلـــبي * الباكي فهيا نجرب الموت هيا**[2]

وهنا استلام الشاعر ودعوته إلى تجريب الموت كحل ليرتاح من عذاب المرير، فأبيات أبي القاسم الشابي جسدت الوحدة:" هي الرابط الذي يضم التجربة والصورة والانفعالات والموسيقى، والألفاظ في وشاح خفي أثيري، وبهذه الوحدة تتكامل القصيدة فتدب فيها الحياة"[3]

ومادامت التجربة الشعرية وإدراك قيمتها لا يصلح إلا بدراسة صور القصيدة مجتمعة، فعلى دراس القصيدة أن يبحث عن الخيط الفكري أو العاطفي أو النفسي الذي يوحد بين أجزاءها.

[1]- المصدر نفسه من نفس الصفحة.
[2]- الديوان ص 236
[3]- بسام قصوس، وحدة القصيدة في النقد العربي الحديث ص63.

ولهذا ينبغي أن تحتوي القصيدة على عاطفة سائدة تهمين عليها وعلى أحاسيسها لتحقيق الوحدة، فيصبح بذلك تلاحم الصور مع بعضها البعض كالنبات الذي ينمو نموا ذاتيا داخليا، كما أن التجاوز بين الكلمات يشكل وحدة معمارية كما يقول يوهانسن:" إن القصيدة تشبه من المعمارية اللغوية ذات الصور، وان كلماتها وأبياتها، لا تعني بشكل منفرد، كما لا تعني الأحجاروالقرميدات متفرقة شيئا ما،÷ ولكنها تشكل مجتمعة معمارية جمالية، وهكذا أبيات القصيدة الجديدة المشدودة إلى بعضها بخيط رفيع شفاف وهو روح القصيدة أو الجو الشعري"[1]

أما إحسان عباس فيرى بان الشكل العضوي يصبح تاما عندما يمزج المضمون والهيكل العام في وحدة عضوية واحدة، ويختار قصد توضيح فكرته عن النمو العضوي، قصيدة "النبي المجهول " لأبي القاسم الشابي تتكون من ثلاثة مقاطع:

-المقطعالأول: الغضب من الشعب

يقول:

أيها الشعبُ، ليتنِي كُنت * حطابًافأهوي على الجذوع بفأسي**

ليتنِي كنْت كالسيول إذا * سالتْ تهد القبور رمســـابرمـــس**

[1]- م،ن، ينظر ص 36

إلى أن يقول:

أنت لا تدْرك الحَقائق إن * طافتْ حولِيك، دُن مس وجس**[1]

فيرى إحسان عباس، بان هذا المقطع يشير إلى " غضب الشاعر وسخطه من الشعب الغبي الذي يكره النور ولا يدرك الحقائق إدراكا تحليليا فهي صورة واحدة تدرجت في الثورة والعنف من حال الحطاب الذي يستطيع أن يقلع شجرة إلى حال الأعاصير التي تستطيع أن تقتلع شجرا كثيرا، وبين هذين درج الشاعر مظاهر العنف تدريجا ليس فيه اختلاف كثير، فنمو نفسية الشاعر بالعنف متفق مع نمو صوره"[2]

-المقطع الثاني: التعبير عن الأحلام:

يقول الشاعر:

في صياح الحياة، ضمخت * أكوابي وأترعتها بخمرة نفسي**

إلى قوله:

ثم ألبسني من الحزن ثوبا * وبشوك الجبال توجت رأسي**[3]

[1]- الديوان،/ ص 488-489
[2]- بسام قطرس، وحدة القصيدة في النقد العربي الحديث، ينظر ص 235
[3]- الديوان ص 489

فنجد الشاعر هنا يعبر عن أحلامه وأخيلته بشكل يتلاءم مع نعمة القافية ففي هذا المقطع يقوم بشرح الأسباب التي جعلته ينقم على شعبه، لأنه لم يعترف بعبقريته الشعرية والتي رمز إليها "بالكأس و الأزاهير"

-المقطع الثالث:الاعتزال والاستسلام للموت حلا والتعبير عن المعاناة وإطلاق صرخة الأم. فهنا" نجد غضب الشاعر بدأ يزول حينما صمم الاعتزال عن الناس بعودته إلى الغاب مختارا الموت بين أحضان الطبيعة، ليحط رمسه تحت الصنوبر وتشيعه الطيور وتظل الفصول تمشي حوليه كما كن يمشين في عصارة الموت"[1]

حيث يقول:

غنني ذاهب إلى الغـــاب يا * شعبي لأقضي الحياة وحدي بيأس**

إنني ذاهب إلى الغاب علني * في صميـــم الغابات أدفن بـــؤسي**

إلى قوله:

وتظل الفصول تمشي حوالي * كما كن في غضارة أمسي**

فالشابي قد عبر عن مأساته ومعاناته تعبيرا دقيقا مؤثرا متدرجا بقصيدته إلى أن وصل إلى لحظة الفناء، فالقصيدة قد انتهت من ناحية الإبداع الفني غير أنها ما تزال بعد في الواقع حيث نجد

[1]-بسام قطوس، وحدة القصيدة في النقد العربي الحديث ص235

الشابي يمثل نفسه بالطفل الصغير الذي بالأخلية، أما شعبه فمثله بالطفل الذي يلعب بالتراب، فيقول

أيها الشعب أنت طفل صغير * لا عب التراب، والليل أمس,**

إلى أن يقول:

أنت في الكون قرة، لم تبسها * فكـــرة عبقـــرية ذات يـــأس**

أنت في الكون،ون قوة كبلتها * ظلمات العصور من أمس أمس**

والشقي الشقي من كان مثلي * في حســـاسيـــتي ورقة نفســـي**

وينتهي قصيدته بقوله:

يا لهـــا من معيشـــة لم * تدسها نفوس الورى بخبث ورجس**

يا لها من معيشة هي في * الكون حياة غريبـــة ذات قـــدس**

" فأبو قاسم الشابي تهمه العبقرية كما يكبله ويقيده طموحه، لكن الكون لا تهمه العبقرية ويكبله جموده، فروح الشاعرفي مجال العمل الفني ثمرة من ثمار الخيال، الذي يعمل على تحقيق وحدة هذا العمل، وذلك من خلال ربط عدة صور وأحاسيس بطريقة أشبه بالصهر، والوحدة العضوية ليست في الحقيقة إلا وحدة الصورة هي وحدة الإحساس، حيث إن الوحدة العاطفية هي

الدليل على تحقيق الوحدة العضوية في العمل الفني، ويى "قدوي" أن وحدة القصيدة في إحدى وجوهها تتحدد طبيعة الصور الشعرية، وبعلاقات هذه الصور فيما بينها"[1]

ولهذا كانت الدعوة لان تكون القصيدة العربية الحديثة وحدة متماسكة حية حيث يجب دراستها ككل غير قابل للانقسام.

" فالرابط الوحيد للصورة داخل العمل الفني لأبي القاسم الشابي هو الشعور المسيطر، فبعض مواده تتقارب حينا وتتباعد حينا آخر ، ولكنها تحافظ على اتصال عاطفي واحد أو عاطفة فاسقة، وهو أمر يحث في الصور المفردة أو في القصيدة ككل كونها موضوعا متكاملا ، حيث إن قصيدة صورة كبرى أو بناء كلي ناتج من اندماج الذات بالموضوع، أي إن الشابي وموضوعه يشكلان الصورة الفنية، المفردة والصور الكلية، فحين نقرا شعره نجد فيه قوة في التعبير، وبراعة في العرض والتصوير، ومتانة في الأسلوب، وسعة في اللغة، وقوة في الخيال، وجمال في التركيب، وروعة في التشبيهات والاستعارات.

المبحث الثالث: الصورة الشعرية والخيال

ثار الشعراء الرومانسيون في القرن 18 ضد النظرة الكلاسيكية، فجاءت ثورتهم في الخيال، إذ كانوا يؤمنون بأنه الوحيد الذي يجعل منهم شعراء حقيقيين، ويعرف الخيال الشعري علة انه "محاولة الإتحاد بالآخر سواء تمثيل هذا في الإنسان أو في الطبيعة"[2] فهو في نظرهم طاقة روحية هائلة، بل هو عالم مطلق غير محدود، فهم لم يلغوا العقل الذي ركن إليه الكلاسيكيون ولكنهم

[1]- بسام قطوس، وحدة القصيدة في النقد العربي الحديث ص38

[2]- جان نعوم طنوس، أبو القاسم الشابي، ملامح الموت والحياة في شخصية الشابي ، ملامح الموت والحياة في الشخصية الشابي وشعره، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ط1، 2001 ص211

قرنوا غليه الخيال، فإذا كان هذا الأخير روحا سماويافأن العقل جسد له ، ويعد هذا مظهر الاتحاد القلب بالعقل.

ومهما قبل في مسالة هروب الرومانسيين من الواقع "فإن كل واحد منهم تقريبا اعتقد بقوة الأشياء التي لا نراها ولا نعرفها، فراح يفتش منها عاطفيا بقوة الخيال لديه"[1]

إذن فالخيال عندهم قوة فاعلة تعطي الشاعر حيوية وحياته، ولهذا راح بعضهم يبحث في ماهيته وعمله.

- فلفلسفة الخيال عند كوليردجColeridge:"

-يعد كوليردج الشاعر الرومانتكيأول من فلسف الخيال، وحلل قدراته بشكل لم يستطيع أحد بعده إن يزيد على ما قاله شيئا سوى الشرح والتفسير بحيث وصف الخيال بأنه " القوة التي تكشف عن ذاتها في خلق التوازن أو التآلف بين الصفات المتضادة أو المتضاربة"[2] ، وعن علاقته بالفلسفة قال:"لم يكن إنسانا ما إلى الآن شاعرا دون أن يكون في نفس الوقت فيلسوفا عميقا"[3]

- فالخيال عند كوليردج نوعان: خيال أولي وخيال ثانوي.

-فالخيال الأولي هو:" القوة الحيوية أو الوسيلة الأولية لكل إدراك إنساني، وهو تكرار في العقل لعملية الخلق الخالدة والانا المطلق"[4]

[1]-عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق ص 76

[2]- عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق ص.76-77

[3]- بلحسيني نصيرة، الصورة الفنية في القصة القرآنية، قصة سيدنا يوسف عليه السلام نموذجا، دراسة جمالية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص نظرية الأدب وعلم الجمال، جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان-2005-2006م ص30

[4]- عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق ص77

فمهمة الخيال الأولي هو جعل إدراكالأشياء بالنسبة لنا ممكنا، غذ من دونه لا يكون لدينا سوى مجموعة من المعطيات التي لا معنى له.

أما الخيال الثانوي فهو " صدى لأول يعايش الإرادة الواعية، ويشبه الخيال الأولي في نوع وظيفته، ويختلف عنه في درجة وفي طريقة العمل، إنه يذيب وينشر ويفرق ليعيد الخلق من جديد"[1]فمهمته هي خلق مركبات جديدة من المعاني.

-معطبات الخيال عند الشابي:

الشابي كأغلب الشعراء الرومنطقيين يعتمد في صوره على التشخيص، أي على منح الصفة الإنسانية لما هو غير إنساني،" ولعل هذا التقارب بين العالمين المختلفين سبيل فاعل لتوحيد الذات بالموضوع، العالم الداخلي بالعالم الخارجي في وحدة وجود غريبة تتحقق بالخيال"[2]

يقول الشابي في قصيدته "إلى بلبل":"

أيها البلبل يا * شاعرأحلام الربيـــع**

غنني إن على * صوتك أندار الدموع[3]**

يمكن التشخيص هنا في هذين البيتين في منح الشابي الغناء (صفة إنسانية) لما هو غير إنساني(البلبل.

يضع الشابي تصوره للخيال فيقول:" إن الخيال ضروري للإنسانلا بد منه، ولا غنية عنه، فهو ضروري لروح الإنسان ولقلبه ولعقله وشعوره لان الخيال نشا في نفس الإنسانية"[1]

[1]- م.ن. من نفس الصفحة
[2]- جان نعوم طنوس، أبو القاسم الشابي، ملامح الموت والحياة في شخصية الشابي وسفره ص211
[3]- الديوان ص 205

فالروحي والمادي يتعانقان ويتبادلان الأدوار ويصبح الواحد بالنسبة للآخر حقل اكتشاف خصب أو مرآة تتمرأى فيها التجارب الشعرية.

والشابي يقسم الخيال إلى قسمين:

*القسم الأول:" يتمثل في إدراك سرائر النفس وخفايا الوجود، وهو يجسد اندماج الفلسفة بالشعر والفكر والخيال ويسميه " بالخيال الفني"[2]

ويأخذ على سبيل المثال لا الحصر قصيدته " حيث المقبرة" حيث كان الشاعر يحاور روح فيلسوف جاءت تزور جسمها الذي أصبح رمّة فخاطبته بهذه الأبيات قائلة:

تبرمت بالعيش خـــوف الفنـــاء * ولو دمت حيا سنمت الخلـــود**

وعشت على الأرض مثل الجبال * جليلا، رهيبا، غريبـــا، وحيـــدا[3]**

*أما القسم الثاني:" فهو خيال يعبر به الإنسان عن ذاته، حيث لا يجد لهت مصاغا في الحقيقة، ثم فكان منه هذا النوع الذي يعرفه، والذي ألفت فيه كتب البلاغة على اختلافها"[4]

ويسميه " الخيال الصناعي: لأنه ضرب من الصناعات اللفظية، ويسميه أيضا " الخيال المجازي" كأنه يستخدم المجاز في تعابيره. " وينطلق الشابي من موقف ضدي وواضح المجازي الخيال

[1]- أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، الدار التونسية للنشر،ط2، دت ص18
[2]- بن خليفة مشري: الشعر ية العربية، مرجعياتهاوابدالاتهاالنصيةدراسة ص107.
[3]- الديوان ص229
[4]- بن خليفة مشري: الشعر ية العربية، مرجعياتهاوابدالاتهاالنصيةدراسة ص107.

الصناعي، الذي يتناول المجاز و الاستعارة والتشبيه، إن هذه المباحث في نظره جامدة وجافة ونفسه لا تحفل بها"[1]

يشبع الخيال حاجة عميقة لتخطي واقع العزلة والانفصال الذي يتردى فيه الشاعر، ويخلق عالمه الشعري الخاص، معبرا عن أخص ما فيه وعن أعمق رغائبه "لذلك تعتبر الصورة الشعرية وهي عمدة الخيال، من المفاتيح الهامة التي تمكننا من الدخول في مملكة الشاعر الباطنية"[2]

فالصورة الفنية مولود نضير لقوة خلاقة هي الخيال، والخيال نشاط فعال يعمل على استنفار كينونة الأشياء ليبني منها عملا فنيا متحد الأجزاء منسجما، فيه هزة للقلب ومتعة للنفس ونظرا لما له من أهمية كبيرة عند الكثير من الشعراء، فهو الملكة القادرة على توليد الصورة الفنية.

[1]-م.ن.من نفس الصفحة.
[2]- جان نعوم طنوس، أبو القاسم الشابي، ملامح الموت والحياة في شخصية الشابي وشعره ص211.

المبحث الأول: دراسة العنوان:

لقد وظّف الشابي أيقونة الموت في بعض قصائده، ونذكر منها على سبيل المثال: " في ظل وادي الموت"، " زوبعة في الظلام"، " نشيد الجبار"، " الجنة الضائعة"، ويعود ذلك لأسباب شخصية حيث وجد في هذه القصائد متنفسا لما كان يعانيه من ألام و شقاء في الحياة.

وتجلى ذلك بوجه خاص عند الشاعر في قصيدته " حديث المقبرة " التي كانت تدور حول حوار تساؤلي بين الشاعر وروح الفيلسوف، في جدوى الحياة والموت.

و العنوان الذي بين أيدينا هو ثنائي البنية، يتكون من اسمين: "حديث"، "المقبرة" وهذه علامة تدل كل بنية منها على معنى معين.

فالحديث: هو عملية تواصلية تتطلب متكلما و مستمعا.

وقد ورد في لسان العرب لإبن منظور معنى الحديث بأنه: " ما يحدث به المحدث تحديثا، وقد حدثه الحديث وحدثه به... فمصدر حدّث إنما هو التحديث، فأما الحديث فليس بمصدر. وقوله تعالى: " وأما بنعمة ربك فحدّث" أي بلغ ما أرسلت به، وحدّث بالنبوة التي أتاك الله وهي أجل النعم".[1]

فمعنى الحديث هنا هو التبليغ.

أما "المقبرة" فهي دلالة على السكون و الهدوء و الفناء و الموت، وقد جاء في لسان العرب معنى المقبرة " القبر مدفن الإنسان، و جمعه القبور و المقبر المصدر، و المقبرة بفتح الباء وضمها، موضع القبور وقد جاء في الشعر المقبر، قال عبد الله بن ثعلبة الحنفي:

أزور وأعتـــــــاد القبـــــــــور، ولا أرى

ســـــوى رمـــــس أعجاز عليه ركود

[1]- ابن منظور ، لسان العرب، م2، ط1، 1990 ص 133

لكـــــــل أنـــــــــاس مقبـــــــــــــر بفنائهـــــــــــــم

فهـــــــم ينقصـــــــــــون، والقـــبـــــور تزيـــــد"[1]

فمعنى المقبرة هو مكان يدفن فيه الإنسان بعد فنائه.

ونجد في هذه القصيدة أن الشاعر قد اختار الزمن الذي يزور فيه المقبرة وهو الليل، حيث يعد الزمن المناسب الذي تطوف فيه الأحلام و الأفكار و الذكريات الحديثة، كما أنه الزمن الذي تنزل فيه الأرواح لتزور أجسامنا.

فأسئلة الشاعر ضاعت في ظلمة ليل لا يسمع و لا يجيب، و هذه من العبثية، فلا جدوى من الصراخ في مواجهة نظام كوني ناقد، وإن أثلج القلب بالبواح إعلانا باهامه للحياة، فالشاعر مترجح العواطف بين قنوط وأمل، انقطاع و سعي دؤوب، فوزا بمسافات عزاء تمحو إحساسا لديه بأن الحياة خواء مادامت مجهولة المرامي، غامضة الغايات.

هناك تناقض برز في عنوان القصيدة فالحديث دلالة على الحياة و الاستمرار، أما المقبرة فهي دلالة على الموت و السكون، و الجمع بينهما هي تلك المسألة التي كانت تؤرق فكر الشاعر وهي محاولة الوصول إلى فكرة صائبة، أيهما أفضل: الاستمرار في الحياة والخلود أم الموت والفناء.

[1]- المرجع السابق،ص 68

المبحث الثاني: مرجعية الصورة الشعرية في قصيدة "حديث المقبرة":

أ – الفلسفية:

تنوعت أشعار الشابي بين عدة موضوعات اتسمت كلها بالجدة، من الحب و الغزل ومنها قصائده التي اختارها في ديوانه "الحب"، "ذكرى"، "صفحة من كتاب الدموع"، "ذكرى صباح"، ثم قصائد العدم والموت، كقصيدة "حديث المقبرة"[1]، وهي فلسفية بالدرجة الأولى لأن الشابي في موضع حوار تساؤلي بينه وبين روح فيلسوف قديم مجهول جاءت تزور جسمها الذي أصبح رمة، فأشفقت على الشاعر المسكين من ألامه الروحية فأرادت أن تعلمه الحكمة و تسكب في قلبه برد اليقين، وكان الحوار مداره الحياة و الموت و الخلود والكمال، فخاطبته الروح ناصحة، و تجلى ذلك في عدة أبيات نذكر منها:

تبـــرمت بالعيش خوف الفنـــــــــــاء ولو دمت حيا سئمت الخلودوعشت على

الأرض مثل الجا جليـــــــلا رهيـــــــــبا، غريـــــــــبا وحيـــــــدا[2]

في هذه الأبيات هناك أفكار و تطابق الرؤية بين الشابي و الشاعر اللبناني " صلاح لبكي" في الربط بين خلود الكائن و سأمه.

فروح الفيلسوف هنا تشبه الشاعر بالجبال في وحدتها و غربتها الدائمة.

و التشابه هو صورة تجمع بين أشياء متماثلة ولكن روح الفيلسوف في موقف تضاء بين الحياة والموت لذلك نجدها تقول للشابي " لو دمت حيا سئمت الخلود"

إلى أن تحدثه متعجبة منه في قولها:

ولم تدر ما فتنة الكائنات وما ســـحر ذاك الربيـــع الوليـــد؟

[1]- سهام خرفي، أبو القاسم الشابي، شاعر القلب و الأحزان، دار القرطبة و التوزيع، ط1-2005 م، ص 15

[2]- الديوان، ص 229

ولم تفتكر بالغد المسترابو لـــم تحتفل بالمـــرام البعيـــد[1]

فهنا روح الفيلسوف كأنها تلوم الشاعر في هاته الأبيات على جموده وعدم استغلاله و استمتاعه بروعة الحياة، وكذلك عدم مبالاته بالمستقبل.

[1]- الديوان، ص 229

ب_ الطبيعية:

لقد كان الشابي شاعرا متأملا، محبا للحياة، كثير التأمل في الطبيعة التي كانت بمثابة مصدر للحياة عنده، حيث استمد نسيج قصائده كلها من الطبيعة، فأفرغ فيها مظاهر الحزن العظيم والألم.

وفي هذا الصدد يقول في مذكراته:" إن الشعر، أو هذا الفن الرفيع من الأدب، الذي يتخذ من الطبيعة رموزا لمعاني النفوس، جميل جد جميل ولكنه سام جدا، وغامض في سموه".[1]

فهو في قوله يعترف بأن الشعر الذي يتخذ عناصر الطبيعة رموزا له هو شعر جميل وغامض نوعا ما.

في قصيدة "حديث المقبرة" نجد شاعرنا يستمد ألفاظا عديدة من الطبيعة ويصطنع بها صوره كقوله

أتطوي سماوات هذا الوجود ويذهب هذا الفضاء البعيد؟
وتهلك تلك النجوم القدامى ويهـــرمُ هذا الزمان العهيد؟
ويقضي صباح الحياة البديع وليل الوجود الرهيب،العتيد؟
وشمس توشي رداء الغمـــامِ وبدرٌ يضيء، وغيمٌ يجـــودْ؟[2]

فالسماء والنجوم والليل والشمس كلها ذات معاني قريبة ولكنها أتت داخل نسيج جديد طريف، فالنجوم مثلا مرتبطة بالليل، وزرقة السماء مرتبطة بالشمس.

[1] محمد عبد المنعم خفاجي، الشابي ومدرسة أبلو، ص 189.
[2] الديوان، ص 226.

" والمتفحص لديوان أبي القاسم الشابي يلفت انتباهه تغنيه بالطبيعة، فهي روح قصائده، إذ لا تكاد تخلو قصيدة من عناصر الطبيعة وكيف يتجاوب معها"[1].

وبحرٌ فسيحٌ، بعيدُ القـــــرار يضج، ويدوي دوي الوليـــد؟

وريحٌ، تمرُ مرور المـــلاكـــ وتخطو إلى الغاب خطو الرعود؟

وعاصفة، من بنات الجحيـــم كأن صداها زئير الأســـــود؟[2]

فالشابي في هذه الأبيات وظف عناصر من الطبيعة، فالبحر والريح والعاصفة كلها عناصر طبيعية حية فيها نوع من الحركة ولها دلالة أدبية معينة سائدة منذ القديم.

في البيت الأول هناك دلالة على غضب الطبيعة، أما فيما يخص البيت الثاني فهو دلالة على اللطف.

فلم يترك شاعرنا معنى من معاني الجمال الطبيعي إلا وأشار إليه وبين محاسنه كقوله:

وطيرٌ تغنى خلال الغصون وتهتـــف للفجر بين الورود؟[3]

فالشابي هنا يتغنى بالجمال في استعماله لعنصر الطبيعة وهو الطير مظهر طبيعي حي ومتحرك ينتقل من مكان لآخر، وفي حركته ارتفاع وعلو يعكس تطلعات الشابي إلى السمو.

[1] سهام خرفي، أبو القاسم الشابي، شاعر القلب والأحزان، ص 15.

[2] الديوان، ص 227.

[3] م،ن، من نفس الصفحة.

وفي هذا البيت وظف الشابي أسلوب التشخيص بإنسابه صفة (الغناء) و(النطق) لغير الإنسان (الطير).

ويشير شاعرنا إلى محاسن الطبيعة في هذه الأبيات:

وشمسٌ توشي رداء الغمـــام وبدرٌ يضيء، وغيمٌ يجـــودْ؟

وضوءٌ،يرصعٌ موج الغدير وسحرٌ، يطرز تلك البرود؟[1]

التغني بجمال الطبيعة نظرة تفاؤلية للشاعر ومعرفة مستشيرة بالخير والصلاح، والضوء يرصع موج الغدير أي التماع وبريق الضوء فوق المياه، وهناك تداخل وتكامل بين نفسية الشابي وتوظيفه لعناصر الطبيعة وهو توظيف قائم على مغزى غير اعتباطي.

وكذلك البرودة مفردها البرد وهو الثوب المخطط أو كساء من الصوف الأسود يلتحق به،والكلمة مجاز على الضفاف المزركشة بالأزهار.

فالشابي حاله حال الشعراء الرومانسيين عشق الطبيعة، وكان يراها مأوى لروحه ومسكنا لمشاعره، ومتنفسا لآلامه وأحزانه.

ج_ النفسية:

تجلت ثورة الأدب الرومانسي في المشاعر والحساسية، فكان الشاعر الرومانتيكي يعتمد في قصائده على العاطفة والشعور تمثلت في مختلف الحالات النفسية التي تنتابه من حزن وألم، وأمل وسرور .

[1] الديوان، ص 226.

والشابي واحد من هؤلاء الشعراء حيث أن " جميع الكائنات الحية وغير الحية المعروفة الكنة والمجهولة الذات...كلها تتحول عنده إلى معاني نفسية تعبر عن آلامه وآماله، بل إنها تجوي أكثر خلال فاجعته في الحياة وظروفه فيها، وهو مع ذلك متفائل يحاول دفع الحياة إلى الأمام".[1]يقول الشابي:

إذا لم يكـــن من لقاء المنايا مناص، لمن حل هذا الوجود؟

لماذا نمر بوادي الزمـــــان سراعا، ولكننا لا نعـــــود؟[2]

حالة الشاعر النفسية في البيتين مضطربة متناقضة،فالشاعر الرومنتيكي من خلال حالته النفسية نجده يجري وراء المتناقضات، وهذا ما تجسد في قول الشابي :

فنشرب من كل نبع شرابا ومنه الرفيع، ومنه الزهيد؟!

ومنه اللذيذ،ومنه الكـــريه ومنه المشيـــد، ومنه المبيد[3]

" فالرفيع" هو الغالي الثمين أما " الزهيد" هو القليل ما لا قيمة له والكلمتان على التوالي مجالز الرفعة والصنعة من حيث المترلة الاجتماعية و" المشيد"هو المنعش مراعاة للشراب نظيره" المبيد" وهو المهلك، وتجربة الإنسان في الحياة تكون حسنة وأحيانا تكون سيئة (قاسية).

" ويتدفق شعر الشابي بالمشاعر الرائعة العميقة"[4].

يقول:

[1] عبد العزيز النعماني، أبو القاسم الشابي، رحلة طائر في دنيا الشعر، الدار المصرية اللبنانية،ط1، 1997، ص 32.

[2] الديوان، ص 230.

[3] م،ن ، من نفس الصفحة.

[4] محمد عبد المنعم خفاجي،الشابي ومدرسة أبولو،ص 180.

تأمل، فإن نظام الحيـــاة نظام دقيق، بديـــع، فريـــد

ولولا شقاء الحياة الأليم لما أدرك الناس معنى السعود[1]

فهو يرى بأن الحياة لها نظامٌ دقيق، وعلى الإنسان أن يمر بدروبها لكي يدرك في الأخير معنى السعادة، فتكرار كلمة" الحياة" دليل على أن الشابي كان متفائلا في بعض الأحيان.

" إن الأسماء التي تحمل مدلولات لأشياء مادية، تتحول في قاموس شاعرنا إلى معاني نفسية، تصلح للدلالة على العاطفة والشعور، فكأن مشاعره كل شيء، وكأنما لم توضع كل تلك الأسماء إلا لتدل على هاتيك الإحساسات الدقيقة الرفيعة اليقظة".

معنى ذلك أنه يستخدم أشياء أو أسماء لأشياء مادية ليعبر بها عن حالته النفسية، أي يستخدم هذه الأسماء للدلالة فقط على الأحاسيس والعواطف.

المبحث الثالث: مستويات بناء الصورة الشعرية في القصيدة.

تتكون قصيدة " حديث المقبرة" لأبي القاسم الشابي من سبعة مقاطع، كل مقطع منها يدور حول فكرة رئيسية.

المقطع الأول:

يتكون من سبعة أبيات تتضمن تصوير حزين لتساؤلات الشابي عن الحالات التي يؤول إليها ويصبح عليها جسم الإنسان في القبر " ولو بحثنا في شعر الشابي لوجدنا صورا فتانة في المعاني، مبتكرة في الأخيلة "[1] فمن الذي يقول مثلما قال الشابي:

[1] الديوان، ص 229_230.

أتفنى ابتسامات تلك الجفون؟ ويخبو توهج تلك الخدود؟[2]

إلى أن يقول :

وينهدّ ذاك القوام الرشيـــق وينحل صدرٌ بديعٌ، وجيدْ؟

وتربد تلك الوجوه الصباح وفتنةُ ذاك الجمال الفريـــدْ؟

ويغبرُ فرعٌ، كجنح الظلام أنيق الغدائر، جعدٌ، مديـــدْ؟[3]

اعتمد الشاعر من خلال هاته الأبيات على طائفة من ألفاظه المعهودة، حيث كان واصفا مشبها، كمثل قوله " القوام الرشيق "، " صدر بديع" ، " الجمال الفريد"، " ابتسامات الجفون"، " توهج الخدود".

وكأن الشاعر هنا في حالة وصف للإنسان قبل فنائه، وهل تزول هذه الصفات بعد مماته، ثم نجده يشبه شعر المرأة بوصفه" الغديرة" وهي المضفورة منه بجنح الظلام.

فالصورة البسيطة المفردة نجدها واضحة في هذه الأبيات، من خلال الوصف والتشبيه وهي الكلمات التي استقاها الشاعر من معجمه الرومانسي.

المقطع الثاني:

يتكون من اثنا عشر بيتا، وهنا أيضا تصوير حزين لتساؤلات الشابي عن الكون وعن الحالات التي يؤول إليها بعد الفناء.

---

[1] عبد العزيز النعماني، أبو القاسم الشابي، رحلة طائر في دنيا الشعر، ص 44.

[2] الديوان، ص 226.

[3] الديوان،ص 226.

فالشاعر استخدم ألفاظ متتابعة وأوردها، لما بينها من تقارب في المعاني، فقد استخدم صيغ لغوية بسيطة، كالإضافة، حيث ربط بين هذه الألفاظ جو نفسي وجمالي حزين من مشاهد الطبيعة، يقول الشابي:

أتطوي سماوات هذا الوجود ويذهب هذا الفضاء البعيد؟
وتهلك تلك النجوم القدامى ويهـــرمُ هذا الزمان العهيد؟
ويقضي صباح الحياة البديع وليل الوجود الرهيب،العتيد؟[1]

في هذه الأبيات نجد الشاعر وظف صيغ لغوية تمثلت في الصفات كقوله مثلا:" النجوم القدامى"، "الزمان العهيد".

كما نجده أيضا قد وظف أسلوب الإضافة كقوله: " صباح الحياة"، "ليل الوجود".

فالشابي كان شعره يتسم بقوة التعبير وبراعة العرض والتصوير ومتانة الأسلوب، وسعة اللغة، وقوة وسمو في الخيال، وجمال في التراكيب، ودقة في الاستعارة والمجاز والكناية والتشبيه"[2]

فمثلا في قوله:

وطيرٌ تغنى خلال الغصون وتهتف للفجر بين الورود؟[3]

استعارة مكنية حذف المشبه به " *الإنسان*" ورمز له بأحد لوازمه " *الغناء*" و " *الهتف*" ، حيث شبه الطير بإنسان يغني ويهتف (ينادي) وهنا تشخيص حيث رفع الطير إلى درجة الإنسان ومنزلته وقد وظفه الشاعر كرمز.

[1] م،ن، من نفس الصفحة.
[2] محمد عبد المنعم خفاجي، الشابي ومدرسة أبولو، ص 178.
[3] الديوان، ص 227.

أما التشبيه فقد تجلى في قوله:

وعاصفةٌ من بنات الجحيم كأن صداها زئيرُالأسود؟[1]

يشبه صدى العاصفة بزئير الأسود مستخدما الكاف كأداة للتشبيه وفي توظيفه لأسلوب المجاز نجده يقول:

وزهرٌ، ينمق تلك التلال وينهل من كل ضوء جديد؟[2]

هنا مجاز حيث يبالغ الشاعرُ في اعتباره أن الزهر ينهل (يشربُ) من الضوء الجديد.

" وهنا تقترب الاستعارة من الرمز حيث يصبحان على التقريب ولدى أسرة واحدة، وهذه القرابة شعر بها النقاد الذين ذهبوا إلى أن الاستعارة لا تبلغ العمق الكافي ما لم تكن رمزا"[3]

فالشاعر إذا لم يربط الاستعارة بالرمز فإنها لا تبلغ العمق الكافي في تأدية معنى بليغا.

المقطع الثالث:

يتكون هذا المقطع من إحدى عشر بيتا، وفيه يتساءل الشابي عن الفناء هل يعم الكل مثل الليل (كما في تصوره) ويواصل تساؤلاته عن استمرار الحياة باعتباره أن الفناء والموت صعب على النفس والقلب " والرومانسيون يحبون الليل ويتغنون به، لأنه مليء بالأسرار التي لا تدرك، فهم يعتقدون أن الحقائق الكبرى تتجلى في ظلمات الأحلام."[4]

يقول الشاعر:

---

[1] المرجع السابق 227

[2] م،ن، من227.

[3] مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط 1، 1958،ص 156.

[4] محمد عبد المنعم خفاجي، الشابي ومدرسة أبولو، ينظر، ص 237.

أيسطو على الكل ليل الفناء ليلهو بها الموت خلف الوجود؟[1]

هنا يشبه الشاعر الفناء بالليل، وهو تشبيه معكوس أصله " فناء كالليل" ووجه الشبه هو السكون والجمود والفراغ.

إن الشعر كله يستعمل الصور ليعبر عن حالات غامضة لا يستطاع بلوغها مباشرة، مثل قوله:

ولكن هو القدر المستبد يلذ له نوحنـــا، كالنشيد[2]

يبدو " النشيد" هنا إثارات مختلفة لصور الفناء والعفاء يعني بهما الوجود بحوارات من داخل الشاعر تتواكب معهما دهشة ودمعة، لهذا نجد الشاعر في هذا البيت يتعجب من القدر الظالم، وما يساعد على تولد الصورة الشعرية هو الجمع بين المتناقضات فالنوح هو البكاء والتفجع، أما النشيد فهو نغم الفرح والصفاء، وكذلكالتضاد في قوله:

ولم يسلكوا للخلود المرجى سبيل الردى وظلام اللحود؟[3]

الخلود≠ الردى (فالخلود يدل على استمرارية الحياة، أما الردى فهو الموت، وهنا انقطاع استمرارية الحياة.)

المقطع الرابع:

يتكون من اثنا عشر بيتا، يتضمن مخاطبة روح الفيلسوف للشاعر وإشفاقها عليه من آلامه الروحية وحيرته الضائعة، فنجدها تلومه بأنه تمسك بالعيش خوف الفناء، لذلك عاش على الأرض مثل

[1] الديوان، ص 227.
[2] م، ن، ص 228.
[3] م،ن ،228.

الجبال وحيدا، مخيفا باعثا على الرهبة، فأرادت بذلك أن تعلمه الحكمة بقولها أن نظام الحياة دقيق، وما يحبب العيش إلا الفناء، وأن السعادة لا تدرك إلا بالشقاء.

وفي هذه الأبيات جمع الشاعر بين المتناقضات وكذلك استخدم التضاد والمقابلات مثل قوله:

تبرمت بالعيش خوف الفناء ولو دمت حيا سئمت الخلود [1]

فهنا مقابلة نجد في الشطر الأول كلمة " الفناء" وتقابلها كلمة " الخلود" في الشطر الثاني.

في أسلوب التشبيه نجد روح الفيلسوف تشبه الشاعر في وحدته وغرابته وبعثه على الرهبة مثل الجبال.

وعشت على الأرض مثل الجبال جليلا رهيبا، غريبا، وحيد [2]

كما استعمل الشاعر الكثير من الصفات كقوله:" الربيع الوليد"، " المرام البعيد" ، المقيم الأبيد"، "الصباح الجديد".

وكل هذا ساهم في تأكيد حيوية الصورة الشعرية.

المقطع الخامس:

يتكون من أربعة عشر بيتا، وفيه راق حديث الروح الشاعر العائش بين الهواتف والأشباح، فحاورها ورد عليها قائلا:

إذا لم يكن من لقاء المنايا مناص، لمن حل هذا الوجود[1]

[1] الديوان، ص 229.
[2] م،ن، 229

الشاعر يرد على روح الفيلسوف متسائلا لماذا حل هذا الوجود إذا لم يكن هناك مهرب من الموت، تحتل الصورة بمعناها الموسع الذي يندرج فيه التشبيه والاستعارة معظم النص، وتتحرك في ثناياه حركة تحفل بالتضاد، ومن ذلك قول الشابي:

وهذا الظلام وذاك الضيـــاء وتلك النجوم، وهذا الصعيد

فنشرب من كل نبع شرابا ومنه الرفيـــع، ومنه الزهيد؟

ومنه اللذيذ، ومنه الكريـــه ومنه المشيد، ومنه المبيـــد

ونشهد أشكال هذي الوجوه وفيها الشقي وفيها السعيد

فيصبح منها الولي الحميـــم ويصبح منها العدو الحقود

وما شأن هذا العداء العنيف؟ وما شأن هذا الإيحاء الودود؟[2]

تجلى التضاد في الكلمات الآتية : "الظلام، الضياء" ،"الرفيع، الزهيد" ، " اللذيذ، الكريه"، "المشيد، المبيد"، " الشقي، السعيد"، "الولي الحميم، العدو الحقود" ، " العداء العنيف، الإيحاء الودود".

وظف الشاعر الاستعارة في هذا المقطع بقوله:

وكل، إذا ما سألنا الحياة غريب، لعمري بهذا الوجود

استعارة مكنية حذف المشبه به " الإنسان" ورمز له بأحد لوازمه " السؤال" حيث شبه الحياة بإنسان يسأل.

[1] المرجع السابق ص 230.

[2] الديوان ، ص 230_ 231.

المقطع السادس:

يتكون من أربعة أبيات وفيها ردت أيضا روح الفيلسوف على الشاعر، وتضمن هذا المقطع صيغ لغوية بسيطة كالإضافة يقول الشاعر:

خلقنا لنبلغ شأوىالكمال ونصبح أهلا لمجد الخلود
وتطهر أرواحنا في الحياة بنار الأسى، ويأس الوعود
ونكسب من عثرات الطريق قوى، لا تهد بدأب الصعود[1]

"شأوى الكمال" ، " نار الأسى" ، " يأس الوعود"، " عثرات الطريق" كلها إضافات استخدمها الشاعر في رسم صوره.

المقطع السابع:

يتكون من إحدى عشر بيتا،مناجاة الشاعر روح الفيلسوف ظانا بأنها تسمعه، ولكنها طارت مع سرب من الأرواح في طريقها إلى العالم المجهول.

اعتمد الشابي في هذا المقطع أسلوب التكرار، حيث ردد الكلام الذي قالته روح الفيلسوف يقول:

خلقنا لنبلغ شأوى الكمال ونصبح أهلا لمجد الخلود[2]

هذا البيت قد تكرر مرتين في القصيدة، دلالة على تأثر الشاعر بكلام الفيلسوف كما اعتمد في صوره على توظيف الكناية.

في قصيدة " حديث المقبرة" هناك تلاحما بين الصور المفردة (البسيطة) والمركبة، فقد تجلت الصور البسيطة من خلال توظيف الشاعر للمجاز والاستعارة والتشبيه والرموز الإيحائية، أما

[1] المرجع السابق 230 -231.
[2] الديوان، ص 232.

الصور المركبة فقد تجسدت من خلال الوحدة العضوية، فقد جمعت القصيدة كل من الفكرة أي الصراع ما بين الموت والحياة والعاطفة أي سيطرة جو نفسي واحد وهو الحزن والخوف من الفناء واللغة أي استخدام اللغة الشعرية الشفافة حتى يتسنى له التعبير عن أشياء لم يستطع التعبير عنها باللغة العادية، والموسيقى من خلال التناغم الذي أحدثه الشاعر فتجلى في وحدة الروي.

فالقصيدة عند الشابي تنتقل من تعبير الألفاظ والجمل إلى تعبير بالصورة الشعرية وهذا أهم ما تطورت إليه القصيدة الجديدة.

الخـــــــــاتمة

خاتمة

في ختام هذا المجهود المتواضع حاولنا أن نلخص أهم نتائج بحثنا فيما يلي:

ـ الشابي شاعرا أبولوليا، حيث نجد في معظم قصائده تصوارت جميلة، فهو يعبر عن أحاسيسه الفياضة لمستكنات الذات التي تمثل الحقيقة والصرامة.

لقد كان الشابي شاعرا عبقريا مطبوعا، غنى للحب والجمال والحرية والطبيعة التي كان يجد فيها راحته واطمئنانه وحيا لأفكاره.

ـ كان يسلك كل مناحي التجديد: خيالا ومعاني وأفكارا وموسيقى ورؤيا وصورا شعرية أخاذة، وهذا ما جعله يفتح باب الإبداع الشعري فاعتبر من الأوائل الذين رفعوا بوادر الرومانسية.

ـ وقد يطلع علينا الشابي في صوره فيلسوف، صاحب نظرة متأملة في الحياة والكون، متقلبة بين اللذة والألم، فيهتف من أعماق نفسه مستصرخا الجراح الدامية.

ـ من خصائص الشابي الأدبية أنه كان دائم المحافظة على الوحدة العضوية في القصيدة،كما استطاع أن يعدد فيها المقاطع، وبالتالي جدد في مضمون النص وشكل القصيدة العربية بأنغام موسيقية،وزينها بالصور الشعرية حيث تنوعت مصادرها عنده من طبيعية ونفسية، وأنواعها من مفردة ومركبة، وهذا ما تجسد في قصيدته " حديث المقبرة" إضافة إلى أنها كانت مرجعيتها فلسفية بالدرجة الأولى.

على الرغم من اجتهادنا في إنجاز هذا البحث، إلا أننا لم نفه حقه كاملا، وبالتالي ندعوا كل من رأى فيه زوايا ناقصة أن يتم ويواصل هذا البحث، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله ثواب من رب العالمين.

وفي الأخير نسأل الله الكريم أن يكون هذا العمل نافعا لنا ولكل طلبة العلم ولو بقليل من المعلومات ليضيفوها إلى رصيدهم المعرفي.

والحمد لله أن وفقنا في إتمام هذا البحث والصلاة والسلام على المصطفى الأمين.

ملحق

نص قصيدة "حديث المقبرة"

أتفنى ابتسامات تلك الجفون	ويخبو توهـــج تلك الخدود؟[1]
وتذوي ورادات تلك الشفاه	وتهوي إلى الترب تلك النهود؟
وينهدّ ذاك القوام الرشـــيق	وينحل صدر بديـــع،وجيـــد؟
وتربد تلك الوجوه الصباح	وفتنة ذاك الجمـــال الفريـــد؟
ويغبر فرع، كجنح الظلام	أنيق الغدائـــر، جعد،مديـــد؟
ويصبح في ظلمات القبور	هباء حقيرا، وتربا زهيـــــد؟
وينجاب سحر الغرام القوي	وسكر الشباب الغرير، السعيد؟
أتطوي سماوات هذا الوجود	ويذهـــب هذا الفضاء البعيد؟
وتهلك تلك النجوم القدامى	ويهرم هذا الزمـــان العهيـــد؟

[1] الديوان، ص 225.

ويقضي صباح الحياة البديع	وليل الوجود الرهيـــب، العتيد؟
وشمس توشي رداء الغمـــام	وبدر يضيء، وغيم يجـــــود؟
ضوء،يرصع موج الغديـــر	وسحر، يطرز تلـــــك البرود؟[1]
وبحر فسيح، بعيد القـــرار	يضج، ويدوي دوي الولـــيد؟
وريح، تمـــر مرور الملاك	وتخطو إلى الغاب خطو الرعود؟
وعاصفة،من نبات الجحـــيم	كأن صداهـــا زئير الأســـود؟
تعج،فتدوي حنايا الجبـــال	وتمشي، فتهوى صخور النجود؟
وطير، تغنى خلال الغصون	وتهتف للفجـــر بيـــن الورود؟
وزهر، ينمق تلك التـــلال	وينهل من كل ضوء جديـــد؟
ويعبـــق منه أريج الغـــرام	ونفح الشباب الحي الســـعيد؟
أيسطو على الكل ليل الفناء	ليلهو بها الموت خلف الوجود؟
وينثرها في الفراغ المخيـــف	كما تنثر الورد ريح شـــرود؟
فينضب يمّ الحياة الخضـــم	ويخمد روح الربيع الولـــود؟
فلا يلثم النور سحر الخدود	ولا تنبت الأرض غض الورود؟[2]
كبير على النفس هذا العفاء	وصعب على القلب هذا الهمود
وماذا على القـــدر المستمر	لو استمرأ الناس طعم الخـــلود؟
و لم يخفروا بالخراب المحـــيط	و لم يفجعوا في الحبيب الودود؟
و لم يسلكوا للخلود المرجى	سبيل الردى وظلام اللحـــود؟
فدام الشباب وسحر الغرام	وفن الربيع ولطـــف الورود؟
وعاش الورى في سلام أمين	وعيش غضير خي رغيـــد؟
ولكن هو القدر المستبـــد	يلذ له نوحـــنا، كالنشيد[3]
تبرمت بالعيش خوف العنـــاء	ولو دمت حيا سئمت الخلود
وعشت على الأرض مثل الجبال	جلـــيلا رهيبا،غريبا، وحـــيد

[1] الديوان، ص 226.

[2] الديوان، ص 227.

[3] الديوان،ص 228.

فلم ترشف من رضاب الحيـــاة	و لم تصطحب من رحيق الوجود
و لم تدر ما فتنـــة الكائنـــات	وما سحر ذاك الربيـــع الوليـــد
وما نشوة الحب عند المحـــب	وما صرخة القلب عند الصدود؟
و لم تفتكر بالغد المستـــراب	و لم تحتفـــل بالمـــرام البعيـــد؟
وماذا يود، وماذا يخـــــاف	من الكون، وهو المقيم الأبيد؟
تأمل، فإن نظام الحيـــــاة	نظام دقيق،بديـــــــع،فريد
فما حبب العيش إلا الفناء	ولا زانه غير خوف اللحود[1]
ولولا شقاء الحياة الأليم	لما أدرك الناس معنى السعود
ومن لم يرعه قطوب الدياجير	لم يغتبط بالصبـــاح الجديد
إذا لم يكن من لقاء المنـــايا	مناص، لمن حل هذا الوجود
فأي غناء لهذي الحيـــاة	وهذا الصراع العنيف، الشديد
وذاك الجمال الذي لا يمل	وتلك الأغاني، وذاك النشيد؟
وهذا الظلام، وذاك الضياء	وتلك النجوم،وهذا الصعيد
لماذا نمر بوادي الزمان	سراعا،ولكننا لا نعود؟
فنشرب من كل نبع شرابا	ومنه الرفيع، ومنه الزهيد؟
ومنه اللذيذ، ومنه الكريه	ومنه المشيد، ومنه المبيد
ونحمل عبئا من الذكريات	وتلك العهود التي لا تعود
ونشهد أشكال هذي الوجوه	وفيها الشقي وفيها السعيد[2]
وفيها البديع، وفيها الشنيع	وفيها الوديع وفيها العنيد
فيصبح منها الولي الحميم	ويصبح منها العدو الحقود
وكل، إذا ما سألنا الحياة	غريب، لعمري بهذا الوجود
أتيناه من عالم لا نـــراه	فرادى فما شأن هذي الحقود؟
روح الفيلسوف:	

[1] الديوان، ص229.

[2] الديوان، ص 231.

خلقنا لنبلغ شأوى الكمال	ونصبح أهلا مجد الخلود
وتطهر أرواحنا في الحياة	بنار الأسى، ويأس الوعود
ونكسب من عثرات الطريق	قوى، لا تهدأ بدأب الصعود
ومجدا،يكون لنا، في الخلـــود	أكاليل من رائعات الورود[1]
خلقنا لنبلغ شأوى الكمـــال؟	ماذا تراه؟وكيفالحدود؟
وإن جمال الكمال الطموح	ومادام فكرا يرى من بعيد
فما سحره،إن غدا واقعا	يحس،وأصبح شيئا شهيد؟
هل ينطفي في النفوس الحنين	وتصبح أشواقنافي خمود؟
فلا تطمح النفس فوق الكمال	وفوق الخلود لبعض المزيد
إذا لم يزل شوقها في الخلود	فذاك، لعمري شقاء الجدود
وخرب ضروس، كما قد عهدت	ونصر، وكسر، وهم مديد
وإن زال عنها فذاك الفناء	وإن كان في عصرات الخلود[2]

قائمة المصادر والمراجع

[1] الديوان، ص 232.

[2] الديوان، ص 230.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المصادر:

1. ابن منظور،لسان العرب م4، دار صادر، بيروت ط1، 1410ه، 1990م

2. أبو القاسم الشابي، الديوان، م1، الشعر، أغاني الحياة، تح: إميل أ، كبا، ط 1، 1418_ 1997.

المراجع:

1. التطاوي عبد الله، الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد ج1،دارالثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة 1997، دط.

2. الحسن تاج السر،الإبداعية في الشعر العربي الحديث ، دار الجيل ، بيروت ط1، 1412ه_1992م.

3. الرباعي عبد القادر، الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق، دار جرير للنشر والتوزيع ط1، 1430ه/ 2009م.

4. الرباعي عبد القادر، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، نشر بدعم من جامعة اليرموك أربد، الأردن ط1، 1400ه/ 1980م.

5. الزماني إبراهيم، الغموض في الشعر العربي الحديث، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، دت.

6. الشامي يحيى، شرح ديوان أبي القاسم الشابي، دار الفكر العربي، بيروت ط1، 1997م.

7. الشيخ محمود، الشعر والشعراء، دار اليازوري العملية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة العربية 2007م.

8. القط عبد القادر، الإتجاه الوجداني في الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت "2 1401ه/1981م.

9. النعماني عبد العزيز، أبو القاسم الشابي، رحلة طائر في دنيا الشعر، الدار المصرية اللبنانية ط1 1997م.

10. أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، الدار التونسية للنشر، ط2، دت.

11. بلحسيني نصيرة، الصورة الفنية في القصة القرآنية " قصة سيدنا يوسف عليه السلام نموذجا" _ دراسة جمالية_ رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخص نظرية الأدب وعلم الجمال جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2005/ 2006م.

12. بن خليفة مشري، الشعرية العربية، مرجعياتهاوإبدالاتها النصية _ دراسة_ سحب الطباعة للجيش، الجزائر 2007م.

13. جان نعوم طنوس، أبو القاسم الشابي_ ملامح الموت والحياة في شخصية الشابي وشعره، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ط1، 2001م.

14. حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، م4، دار الجيل، بيروت ط2، 1411ه/ 1991م.

15. خرفي سهام، أبو القاسم الشابي، شاعر القلب والأحزان، دار قرطبة للنشر والتوزيع ط1، 1426_2005م.

16. شلتاغ عبود شراد، مدخل إلى النقدالأدبي الحديث، دار مجدلاوي، عمان ، ط1،1419ه/ 1998م.

17. عبد المنعم محمد خفاجي، الشابي ومدرسة أبولو، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، ط1، 1986م.

18. عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 4، دت.

19. عوين أحمد، الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء الإسكندرية .دط.

20. قطوس بسام، وحدة القصيدة في النقد العربي الحديث، دار الكندي أربد، الأردن، ط 1، دت.

21. محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، دار الثقافة، بيروت 1973.

22. منيف موسى، الشعر العربي الحديث في لبنان دار العودة بيروت ط1، 1980.

23. ناصف مصطفى، الصورة الأدبية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط1، 1958م.

الفهرس:

البسملة

الشكر

الإهداء

مقدمة.....أ

مدخل:.....01

الصورةالشعرية.....11

قصيدة حديث المقبرة.....12

أبوالقاسم الشابي.....13

الفصل الأول: الصورة الشعرية مصادرها وأنواعها

المبحث الأول: مصادر الصورة الشعرية عند الشابي.....18

الطبيعة.....18

النفسية.....22

المبحث الثاني: أنواع الصورة الشعرية عند الشابي.....26

الصورة الشعرية المفردة.....26

الصورة الشعرية المركبة.....33

المبحث الثالث: الصورة الشعرية والخيال.....39

فلسفة الخيال عند كوليريدج.....39

معطيات الخيال عند الشابي.....40

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لقصيدة " حديث المقبرة"

المبحث الأول: دراسة العنوان.....43

المبحث الثاني: مرجعية الصورة الشعرية في قصيدة " حديث المقبرة" 45

المبحث الثالث: مستويات بناء الصورة الشعرية في القصيدة.....50

خاتمة.....56

ملحق: قصيدة "حديث المقبرة" لأبي القاسم الشابي.....59

قائمة المصادر والمراجع.....63